**مقرر انتشار الاسلام**

**د.ايمان العصيمي**

الفتوحــات الإسلاميــة

مفهوم الفتح:

الفتح في اللغة: نقيض الإغلاق، ويقصد به هنا افتتاح دار الحرب ودخول دار العدو، كما يأتي الفتح بمعنى: النصر والغلبة، وقد وردت لفظة الفتح في العديد من الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ( إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ) ..

ولا يقتصر مفهوم الفتح على الانتصار العسكري فحسب، بل يتعداه إلى الانتصار في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي سببت مجتمعة دخول الأقوام في البلاد المفتوحة عسكرياً في دين الإسلام بقناعة ورضا، مما يسبب انتصار عقيدة التوحيد على الشرك في تلك البلدان.

فكلمة الفتوح بهذا المفهوم الشامل تعني: ما قام به المسلمون من جهاد وفتح للبلدان وتمهيد لدعوة الله وتبليغ دين الإسلام إلى خلق الله وتحطيم قوى الشر التي كانت تمنع المسلمين والناس من ذلك في البلاد المختلفة. ابتداء من أيام الرسول ومن تلاه من الخلفاء الراشدين، مروراً بالعصور الإسلامية المختلفة كالعصر الأموي، والعباسي، وأيام الأيوبيين والمماليك، والعثمانيين، وغيرهم من الدول الإسلامية التي عاصرتهم أو تلتهم، فما حدث في تلك العصور من حركات جهادية مميزة يصح أن تدخل ضمن أحداث الفتوح والجهاد.

المبشرات من السنة النبوية والسيرة النبوية:

وهي مبشرات كثيرة وفيرة من هذه المبشرات: ما رواه تميم الداري قال: سمعت رسول الله يقول: "ليبلغن هذا الأمر (يعني أمر الإسلام) ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر". ومعنى بلوغه ما بلغ الليل والنهار: انتشاره في الأرض كلها، حيث يبلغ الليل والنهار، ودخول هذا الدين الحواضر والبوادي، فالحواضر هي التي بيوتها من مدر أي من جر، والبوادي هي التي بيوتها من وبر وشعر، وسيدخلها الإسلام جميعاً.

ومن هذه المبشرات: في غزوة الخندق في السنة الـ5هـ، عندما اعترضت صخرة للصحابة وهم يحفرون، فضربها الرسول ثلاث ضربات فتقتت. قال إثر الضربة الأولى: "الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة، ثم ضربها الثانية فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة". وفي هذا الحديث بشارة بأن هذه المناطق سيفتحها المسلمون مستقبلاً، وقد وقع ذلك فعلاً.

من هذه المبشرات: ما جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام عند أم حرام بن ملحان ثم استيقظ وهو يضحك قالت: وما يضحكك يا رسول الله!! قال: ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله يركبون ثبج البحر مثل الملوك على الأسرة.. قالت: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت من الأولين.. فركبت أم حرام البحر.. بعد قرابة الثلاثين عاماً إلى قبرص في زمن الخليفة عثمان بن عفان.

ومن هذه المبشرات: ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي قبيل، قال: كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ قال: بينما نحن حول رسولا لله نكتب، إذ سئل رسول الله، أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال: مدينة هرقل تفتح أولاً.

يفهم من السؤال أن الصحابة كانوا قد علموا قبل ذلك أن الإسلام سيفتح المدينتين، ويدخل أهلهما في دين الله، ولكن يريدون أن يعرفوا: أي المدينتين تسبق الأخرى، فأجابهم أن مدينة هرقل (القسطنطينية)، ستفتح أولاً.

وقد تحقق ذلك على يد محمد الفاتح سنة 857هـ/1453م. وبقي الجزء الثاني من البشرى: فتح رومية أو روما حالياً. وبه يدخل الإسلام أوروبا مرة أخرى.

وفي ظن الدكتور يوسف القرضاوي أن هذا الفتح سيكون بالقلم واللسان، لا بالسيف والرماح، وأن العالم سيفتح ذراعيه وصدره للإسلام، بعد أن تشفيه الفلسفات المادية الوضعية، ويتطلع إلى مدد من السماء، وهدي من الله، فلا يجد إلا الإسلام طوقاً للنجاة.

اتساع دولة الإسلام في المشارق والمغارب:

ومن هذه المبشرات ما رواه مسلم وغيره عن ثوبان قال: قال رسول الله: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها". ومعنى زوى لي الأرض: أي قبضها، وضمّها وجمعها له عليه الصلاة والسلام حتى يراها جملة واحدة.

وهذا الحديث يبشر باتساع دولة الإسلام حتى تشمل المشارق والمغارب، أي الأرض كلها.

الرخــاء والامن وفيض المال:

ومن هذه المبشرات: ما رواه أبو هريرة عن رسول الله أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً".

وزاد أحمد في روايته: "وحتى يسير الراكب بين العراب ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق". ومنها: ما رواه أبو هريرة أيضاً عن رسول الله قال: "لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يُهم ربُّ المال من يقبل منه صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي".

يؤكده حديث أبي موسى مرفوعاً: "ليأتين على الناس زمان يطوف الرجال فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه".ومثله حديث حارثة بن وهب مرفوعاً: "تصدقوا، فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها، يقول الرجل: لو جئت بها الأمس لقبلتها، فأما اليوم فلا حاجة لي بها".

وهذا كله دليل على ظهور الرخال ورغد العيش وزوال الفقر من المجتمع، بحيث لا يوجد فيه فقير يستحق الصدقة أو يقبلها.

عودة الخلافة على منهاج النبوة:

ومن هذه المبشرات: ما رواه حذيفة بن اليمان عنه قال: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون ما شاء الله ان تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" ثم سكت.

والملك العاض- فوفي رواية العضوض: هو الذي يصيب الناس فيه عسف وظلم كأنه له أنياباً تعض. أما ملك الجبرية فهو القائم على الجبروت والطغيان، أشبه بالحكم العسكري المستبد في عصرنا الحاضر.

فهذا الحديث يبشر بانقشاع عهود الاستبداد والطغيان، وعودة الخلافة الراشدة، المتبعة لمنهاج النبوة في إقامة العدل والشورى، ورعاية حدود الله وحدود العباد.

الانتصار على اليهود:

ومن هذه المبشرات: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله يقول: "تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي، فاقتله".

ومثله ما رواه أبو هريرة مرفوعاً: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله".

فهل ينطق الحجر والشجر بلسان المقال- آية من آيات الله، وما ذلك على الله بعزيز- أن ينطقان بلسان الحال؟ بمعنى أن كل شيء يُدلّ على اليهود، ويكشف عنهم. وأياً كان المراد، فالمعنى أن كل شيء سيكون في صالح المسلمين، وضد أعدائهم اليهود، وأن النصر آت لا ريب فيه.

بقاء الطائفة المنصورة:

ومن هذه المبشرات: ما رواه عدد من الصحابة رضي الله عنهم، مثل ما رواه معاوية عنه قال: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس".

وقد صح عنه قوله: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك" قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: "بيت المقدس وأكناف بيت المقدس".

ومعنى هذه الأحاديث كلها: أن الخير سيستمر في هذه الأمة، وأنها لا تخلو من قائم لله بالحجة، ومن ناصر للحق، مستمسك به، حتى تقوم الساعة، وأن هذه الطائفة المنصورة باقية حتى يأتي أمر الله، وإن أصابها ما أصابها من لأواء وأذى.

ظهور المجددين في كل قرن:

ومن هذه المبشرات: ما رواه أبو هريرة عن رسول الله قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها" وكلمة (من) في الحديث تشمل (المفرد) كما قالوا إنها تشمل (الجمع)، كما ذهب إليه بعض الشراح، وهو ما نختاره، فقد يكون المجد جماعة دعوية أو تربوية أو جهادية.

نزول المسيح:

ومن المبشرات التي صحت بها السنة: نزول المسيح ابن مريم في آخر الزمان حاكماً بشريعة الإسلام، خليفة رسول الله وخاتم النبيين.

وقد ذكر بعض المحققون من علماء الحديث أن الأحاديث التي وردت في هذا الشأن بلغت أربعين حديثاً.

ظهور المهدي:

ومن المبشرات المشهورة في السنة: الأحاديث التي جاءت في شأن ظهور المهدي، والصحيح منها الذي لا اعتراض عليه، ولا ينبغي أن يخالف فيه مخالف: أن هناك حاكماً مسلماً ملتزماً بالإسلام، سيظهر بعد عهود جور وفساد، يقيم دين الله في الأرض، ويملؤها عدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، أم الخلاف فهو في نسبه واسمه، وشكله وصورته، ووقت ظهوره، وهذا لا يهمنا. إنما الذي يهمنا هو الفكرة نفسها، وهي مسلّمة، وهي إحدى البشائر النبوية.

دخول الإسلام إلى فارس (إيران)

لإيران تاريخ قديم، وكلمة إيران مشتقة من اسم الشعوب الآرية التي هاجرت إليها في التاريخ القديم، ومعناها "موطن الآريين"، ثم تطورت التسمية فصارت بلاد إيران، في حين يذكر البعض إن مصطلح بلاد إيران كان يعرف في القرن الـ3 ق.م باسم "أريانا" والآري بمعناها يفيد "نبيل أو سيد" ولم يستخدم اسم إيران في العهد الإسلامي، وإنما استخدمت كلمة فارس التي أطلقها الإغريق للدلالة على إيران القديمة، وقيل ان اسم فارس قد استمر من إقليم "بارسا" في الجزء الجنوبي الغربي من الهضبة، ثم حُرّف هذا الاسم عند الإغريق إلى "برسيس" ثم أطلق عليها العرب اسم فارس.

وقد ظل تعبيري فارس وإيران مستخدمين لعدة قرون مع بعضهما، فكان يطلق على أهل البلد إيران، بينما يطلق عليها الغربيون المتأثرون بشكل رئيسي باليونان اسم فارس، وظل اسم فارس متداولاً في الدوائر المحلية والعالمية حتى سنة 1354هـ/1935م، حينما طلبت الحكومة الإيرانية من الدول الأجنبية مراعاة للتنسيق والتوحيد أن يطلق على البلاد رسمياً اسم "إيران".

وقد توالت على إيران في القرون القديمة هجرات عديدة إلا ان أهمها هي الهجرة الآرية، التي استوطنت إيران وعمرت فيها القرى والمدن، ومن بين هذه العشائر الآرية من لعب دوراً كبيراً في التاريخ، بل وأسس امبراطوريات ذائعة الصيت مثل (الميديين، البارتيين، العيلاميين) وغيرهم. وقد تعرضت إيران مثل بقية أجزاء الشرق الأدنى لغزو الإسكندر الأكبر وما تبع ذلك من ظهور دولة يونانية في فارس والعراق وبلاد الشام وهي الدولة السالقوية، ثم ظهرت الدولة البارتية في القرنين الـ2 و3 ق.م، ومن بعد هذه الدولة، جاءت الدولة الساسانية وهي آخر الدول الإيرانية قبل الإسلام.

أحوال الدولة الساسانية قبل الفتح الإسلامي:

وذلك لنتعرف على مواطن الضعف في الحياة الإيرانية، وبالتالي نعرف كيف نجح المسلمون في فتحها:

ولتوضيح ذلك نقول: إن إيران الساسانية كانت ضحية موقعها الجغرافي قبل كل شيء، فكانت محاطة بثلاثة أعداء، وعليها أن تحاربهم في وقت واحد. فحاربوا البيزنطيين في آمينيا وآسيا الصغرى (الغرب)، والعرب في بادية العراق وإقليم الجزيرة (الجنوب)، كما واجهوا الخطر التركي الذي كان قد بدأ يطل من الشمال الشرقي ويغير على الحدود الإيرانية.

هناك حقيقة أخرى: تكشف لنا القناع عن خفايا الأوضاع الداخلية في إيران، وهي من صنع الساسانيين ومن نتائج ثورتهم: وهي أن الثورة التي أعلنها أزدشير مؤسس الدولة الساسانية قامت على دعوى دينية، بإحياء الدين المجوسي القديم "دين زرادشت".

غير أن هذا الإحياء كانت له نتائج السيئة، فقد ادى إلى تسلل الزردشت إلى حياة الشعب كلها: تحكموا فيها وسيطروا على جميع مظاهر النشاط البشري في إيران. فمثلاً تسللوا إلى الحياة الاقتصادية فمنحوا الإقطاعيات العظيمة وأصبحوا طبقة من كبار الملاك، وتمتعوا بالإعفاء من الضرائب بل أباحت الدولة لهم ان يفرضوا الضرائب إذا شاءوا. وفي الوقت نفسه امتد سلطانهم إلى النواحي الإدارية وشاركوا الملك في شئون الحكم. وكانت المتاعب التي سببوها قد مهدت الطريق أمام بعض المذاهب الأخرى كل تتسلسل إلى حياة الإيرانيين. ومن هذه المذاهب "الديانة المانوية" وتنسب إلى مصطلح يسمى ماني ظهر في المدائن وكانت دعوته تجمع بين تعاليم المسيحية واليهودية والمجوسية وتكاد ان تتجه اتجاهاً روحياً صرفاً. ثم "المزدكية" نسبة إلى رجل إيراني ظهر في إقليم خراسان يسمى مزدك وكانت تعاليمه تجنح إلى شيوعية الثروة والأسرة. وقد لقيت هذه المذاهب قبولاً من الجماهير التي عانت من ظلم الطبقات ومن الاضطهاد الديني الذي قام به ضدهم الزرادشت، فكانت جماهير المضطهدين هم عدة العرب في فتحهم لإيران.

ونضيف إلى ما سبق: بعض التطورات الاجتماعية التي أسهمت في زلزلة الكيان الإيراني. ذلك أن الحياة الاجتماعية عند الإيرانيين كانت تقوم على أساس الطبقية الجامدة. وسبب هذا الجمود في الحياة الاجتماعية يرجع إلى أن نظام الطبقات هذا كان نظاماً له قداسته وردت إشارات إليه في الكتاب المقدس عن الإيرانيين المسمى بكتاب "الاوستا" وهو الكتاب الذي ينظم الحياة الطبقية ويخلع عليها صفة القداسة.

وقد قسم هذا الكتاب المجتمع الإيراني إلى أربع طبقات، منها ثلاث ممتازات هي: طبقة رجال الدين، وطبقة العظماء وتشمل الملك والإقطاعيين وقواد الجيش ورجال الحرب، أما الطبقة الرابعة فهي طبقة أصحاب الحرف من العمال والصناع. وأفرادها يكلفون بخدمة الطبقات الثلاثة الممتازة.

وكانت طبقة الزراع تشكل الغالبية العظمى من الإيرانيين، فلما اضطهدت سياسياً واقتصادياً بسبب فساد النظام الإقطاعي الذي كان متحكماً صارت مستعدة للثورة على الاضطهاد.

ويمكننا ان نضيف إلى هذا: أن إيران كانت في الحقيقة مقسمة على إقليمين مختلفين في الاتجاه الحضاري والفكري لأنهما كانا مختلفين في عناصر السكان والتوجيه الجغرافي والحياة الاجتماعية: فقد كانت مقسمة إلى إقليم العراق العجمي وهذا الإقليم ثقافته عربية منذ القدم وحياته زراعية وكانت عاصمته المدائن.

أما الإقليم الآخر فهو إيران الخالصة التي اكتسبت صبغة إيرانية صرفة ومثلت الحياة في عصر النهضة الإيرانية، وكانت عاصمتها مدينة اصطخر. وقد ظهر هذا الانقسام بين الإقليمين بوضوح في حوادث الفتح العربي فبينما استسلم العراق العربي للفتح الإسلامي تركزت المقاومة الفعلية للعنصر الإيراني في هذا الإقليم الإيراني الخالص.

في عهد الرسول:

أرسل الرسول مبعوثه عبدالله بن حذافة السهمي بكتاب إلى كسرى فارس يدعوه إلى الإسلام، جاء فيه: (بسما لله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس.. اسلم تسلم، فإن توليت فعليك إثم المجوس).

فلما قرى كسرى فارس الكتاب مزقه، وحبس مبعوثه ثم قتله، ولما بلغ ذلك الرسول دعا عليه وقال: (مزق الله ملكه، وكانت نهاية كسرى قتله بي ابنه شرويه).

في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

المرحلة الأولى: كتب المثنى بن حارثة الشيباني إلى الخليفة أبي بكر يطلب أن يأذن له بفتح العراق، فأذن له وانضم إليه خالد بن الوليد في الفتوح الإسلامية للعراق.

وانتهى الأمر بأن دخل العرب مدينة الحيرة، وكان نصر العرب عند الحيرة هو الذي قرر مصير العراق العربي. والسبب أن فتح الحيرة ثم بعدما عقدت معاهدة الحيرة، وهي تشبه المعاهدات المألوفة من حيث ضمانها لحرمة العقيدة وحرمة النفس والمال، وتنظيمها لوضع أهل الذمة، وأصبحت الحيرة بعد فتحها قاعدة إسلامية تتركز فيها الإمدادات والقوات لإتمام المراحل الأخرى.

أما المرحلة الثانية: وهي فتح العراق العجمي، وتتمثل فيها المقاومة الحقيقية للإمبراطورية الإيرانية مستخدمة أسلحتها كلها، إذ يبدو أن الإيرانيين اعتقدوا أن الفتح الإسلامي ليس غارات تغير ثم تعود إنما هي أهداف تريد أن تنطلق. فكان أن قامت بحشد قواتها كلها وإلقاء هذه القوات في معركة فاصلة. فكانت معركة القادسية التي تمثل فيها الصراع الحقيقي بين الدول الساسانية وبين المسلمين، ويتمثل فيها عنف المقاومة من ناحية الفرس ثم عمق الإيمان من ناحية المسلمين، واستمرت ثلاثة أيام انتهت بنصر حاسم كان أشبه بالمعجزات.

وقررت القادسية مصير العراق العجمي بدليل أن المسلمين انفتحت أمامهم سهول العراق ودخلوا العاصمة المدائن دون مقاومة.

المرحلة الثالثة: وهي فتح إيران تتمثل فيها المقاومة الحقيقية للفتح الإسلامي فقد تم فيها اللقاء الحقيقي بين المسلمين والإيرانيين، والتقاء المسلمين بالطبيعة الجبلية والهضبية الإيرانية واضطر المسلمين إلى القتال في أجواء تختلف عما ألفوه. وكان الانتصار الإسلامي في معركة جلولاء يحمل اكثر من معنى، إذ ان معناه أن الفتح الإسلامي لن يعبأ بطبيعة جغرافية، إنما هو مد يريد أن ينطلق مهما تكن النتائج.

ثم مضى المسلمون في نصرهم، ومضى الساسانيون في هزائمهم، حتى كانت معركة نهاوند التي استطاع المسلمين فيها أن يقضوا على المقاومة الساسانية قضاء تاماً وأن يوغلوا في صميم الوطن الإيراني.

وقد كان الزحف الإسلامي من الحيرة حتى نهاوند زحفاً غير منظم، لكن بعد هذه المعركة أصبح يسير وفقاً لخطط مدروسة، ويمتاز بطابع التنظيم والملائمة بين التوسع ويمكننا ان نقول: أن من أساليب هذا التنظيم الجديد إنشاء البصرة والكوفة واتخاذهما معسكرين الغرض منهما أن تحشد فيهما القوات الإسلامية وتخرج منها لتنفيذ أهداف مرسومة واضحة.

وإذا تأملنا في تطور الزحف الإسلامي بعد إنشاء البصرة والكوفة نستطيع أن نقول أن هذا الفتح كان على شكل كماشة كبرى. يمضي الجزء الشمالي منها: يخترق شمال إيران. وفعلاً استطاع المسلمون أن يستولوا على منطقة خراسان بل وصل الزحف الإسلامي إلى حدود أفغانستان في عهد عثمان بن عفان. والطرق الجنوبي من حركة الخلف كان يخترق إيران الجنوبية ويتجه نحو الشرق ووصل هذا الزحف حتى حدود السند.

في عهد الخلافة الأموية:

وإذا كان الفتح الإسلامي نجح في إخضاع إيران على هذا النحو فإن تثبيت هذا الفتح والمحافظة عليه كان أبلغ أثراً من حوادث الفتح نفسها. ونستطيع ان نقول: أن الأمويين هم الذين نجحوا في المحافظة على هذه المكاسب وتثبيت النفوذ الإسلامي في إيران.

فهم أصحاب الفضل في "التنظيم الثغري"، إذ استطاعوا أن ينظموا الحدود تنظيماً ثغرياً، وأساسه أن تنشأ سلسلة من الحصون على الحدود، يركز فيها المقاتلة والجنود والمجاهدون والمرابطون وتحشد المؤن والذخائر، وتقوم الحصون الثغرية بسلسلة من الغارات الموسمية إما في الشتاء وإما في الصيف.

في عهد الخلافة العباسية:

ظلت إيران أو فارس ولاية تابعة للخلافة الإسلامية في العصر العباسي، ولكن النفوذ الفارسي في ذلك العصر خاصة في العصر العباسي الأول 132-232هـ، تغلغل في أنحاء الدولة الإسلامية، لأنه من المعروف أن الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس الذين قادوا الثورة ضد الأمويين في إقليم خراسان بفارس حتى تمكنوا من إسقاط حكم الأمويين سنة 132هـ.

وقد أخذ نفوذ الفرس في الدولة العباسية يطغى على كل نفوذ على حساب العنصر العربي، ذلك النفوذ الذي بدأ مع الدولة العباسية، وبصورة خطيرة وقوية على أيدي البرامكة الذين قضى عليهم الخليفة هارون الرشيد، حين رآهم يجمعون كل سلطان الدولة في أيديهم.

كذلك عاد نفوذهم من جديد في عهد الخليفة المأمون، حيث وقفوا ضد أخيه الأمين وقتلوه، وبلغوا في عهد المأمون حدا بعيداً حيث اتخذ منهم المأمون الوزراء والكتاب والحجاب.

وعندما ظهرت الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي، سيطرت تلك الدول على إيران، فلما قامت الدولة الطاهرية في خراسان، وعلى الرغم من أن هذه الدولة كانت فارسية الأصل وميل أصحابها بها إلى بني جلدتهم، إلا أنهم ظلوا يحافظون على الآداب العربية، والدليل على ذلك عند تقدم أحد الفرس بقصة من قصص الفرس القدامى، تصدى له الأمير الطاهري في عنف وهو يقول: "نحن قوم لا نقرأ إلا القرآن والحديث"، ثم أمر بإحراق كتب المجوس.

ثم جاءت الدولة الفارسية السامانية، وقد بذل السامانيون جهوداً كبيرة في نشر الإسلام بين قبائل الترك التي كانت تعيش في بلاد ما وراء النهر، وبقايا الإيرانيين هناك.

كما عملت تلك الدولة على إحياء الآداب الفارسية، وبدأت هذه الآداب تدون بالحروف العربية، وتتضمن الكثير من العبادات الإسلامية والمصطلحات العربية.

وقد سيطر على بلاد فارس إيران مجموعة من الدول على مر التاريخ، مثل الدولة السلجوقية، وكان للسلاجقة وزير قوي يدعى نظام الملك، الذي تمكن من تأسيس مجموعة من المدارس في فارس والعراق عرفت باسم المدارس النظامية.

ثم جاء الغزو المغولي منذ أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، واجتاح المغول بلاد فارس أسوة ببقية بلدان العالم الإسلامي في المشرق، وتمكن المغول من تأسيس دولة خاصة بهم في إيران عرفت باسم الدولة المغولية، وظلت هذه الدولة تحكم إيران من سنة 663 حتى سنة 756هـ، وقد انتشر الإسلام بين هؤلاء المغول الذين كانوا يحبون حياة القتل والنهب والتخريب، وبعد اتصالهم بالمسلمين واطلاعهم على أسباب الحضارة عندهم، أخذوا يعنون بكافة نواحي الحضارة الإسلامية، ويساهمون في بناء تلك الحضارة والثقافة.

وفي العصر العباسي لمعت في بلاد فارس مجموعة من العلماء الذين أثروا الحضارة الإسلامية، أمثال ابن المقفع وهو فارسي كان على أيام الخليفة أبي جعفر المنصور، الذي ترجم العديد من الكتب الفارسية القديمة، ومحمد بن إبراهيم الفزاري زمن الخليفة هارون الرشيد وهو أول مفكر إسلامي ترجم كتاب السند هند، وعدة كتب أخرى، كما اشتهر في علم الفلك وأول من استخدم الاسطرلاب.

أما في عصر المغول فقد ظهر العديد من العلماء مثل نصر الدين الطوسي الذي بنى له هولاكو خان المغولي مرصداً في المراغة، ومن أشهر المؤرخين "عطاء ملك الجويني" صاحب كتاب "تاريخ جلها نشكاي" وهو أهم وأوفى مرجع في تاريخ المغول وتاريخ سلاطين خوارزم، وكذلك "رشيد الدين فضل الله الهمذاني" صاحب كتاب "جامع التواريخ" الذي أرخ فيه للمغول، و"شهاب الدين الشيرازي" صاحب كتاب "تاريخ وصاف"، وغيرهم كثيرون، وتعد تلك الكتب التاريخية التي ألفت باللغة الفارسية من أهم مصادر التاريخ الإسلامي في تلك الحقبة التاريخية.

وفي النهاية استطاع الشاه "إسماعيل الصفوي" أن يصفي الموقف كله في فارس لصالحه مؤسساً الأسرة الصفوية وذلك في سنة 906هـ، التي تعد بدايتها بداية لتاريخ إيران الشيعية.

وظلت إيران تتداولها الدول والأسرات الحاكمة، وفي العصر الحديث أخذت المطامع الاستعمارية تحيط بها، حتى استقلت، وقامت بها الجمهورية الإسلامية الإيرانية الآن وعاصمتها طهران.

العوامل التي مكنت الإسلام من الانتشار في إيران:

* الحياة السياسية العامة للدولة الإسلامية في إيران:

وكانت هذه السياسة تتألف من أركان كثيرة، أهمها معاملة أهل الذمة، لأن هذه المعاملة كانت من أهم الأسباب التي هيأت الذميين نفسياً لتقبل الدعوة إلى الإسلام والإقبال على الحضارة العربية.

والمعروف أن سياسة الدولة الإسلامية كانت تنبع من المعاهدات وعقود الصلح التي عقدت مع المدن المفتوحة. هذه المعاهدات كلها تتجه اتجاهاً واحداً تقريباً، فقد تضمنت جميعها منح أهل الذمة من الإيرانيين حرياتهم الدينية، وتكفل المسلمون بحمايتهم وتوفير أسباب الطمأنينة لهم وذلك مقابل دفع الجزية التي كانت تتراوح كثرة وقلة حسب الغنى والفقر وكانت تعفى منها كبيرة من الناس.

كما تضمنت هذه السياسة استخدام الإيرانيين غير المسلمين في وظائف الدولة خصوصاً الوظائف المالية لأن إيران كانت بها طبقة الدهاقين التي عرفت بمهارتها المالية ونبوغها ومعرفتها بالأسرار الإدارية والسياسية. وقد استخدم أفراد هذه الطبقة في عهد الراشدين وكثر استخدامهم في عهد بني أمية. كما أبقى العرب على التنظيمات الإدارية فظلت سجلات الضرائب في إيران تكتب بالفارسية ما يقرب من خمسين سنة. وظلت في خراسان تكتب بالفارسية بعد الفتح بنحو مائة سنة. كما استخدم العرب العملة الفارسية نفسها، فبقي الدرهم الفارسي أساساً للعملات المالية.

وقد تأثرت طبقة الموظفين بهذه السياسة فلما وجدت أنها تستطيع أن تحتفظ بوظائفها مع احتفاظها بدينها القديم، أيقنت أن دخولها في الإسلام سيضاعف من حقوقها، وقد حدث هذا فعلاً.

ولم يكتف هؤلاء الناس بالدخول في الإسلام إنما اتخذوا أسماء وألقاء عربية للمحافظة على أوضاعهم وزيادة حقوقهم.

وقد كان هذا التسامح الإسلامي ذا أثر كبير في تهيئة أهل إيران نفسياً لاعتناق الإسلام، ولذلك نرى من الحق أن نقرر أن أغلب الفرس الذين استجابوا لنداء الإسلام كانت استجابتهم عن إيمان واعتقاد. والدليل على هذا أن طبقات المسلمين من أهل إيران هم الذين تولوا الدفاع عن الإسلام بعد أن تسلموا زمامه، وقد دافعوا عنه كما دافع عنه العرب بحرارة وإخلاص.

* الفرق الواضح بين التشريع الإيراني الرسمي الذي يتمثل في الزرادشتية، التي لم تكن ديناً فحسب إنما كانت تنظيماً للحياة الاجتماعية والاقتصادية، والتشريع الإسلامي، وهو بدوره لم يكن تشريعاً دينياً فحسب إنما كان تشريعاً اجتماعياً واقتصادياً.

كانت الحياة الإيرانية تقوم على دعامتين: النسب والملكية، فكانا لنبلاء تفصلهم عن عامة الشعب حدود محكمة لا يمكن تخطيها. كانوا يمتازون في كل شيء. وفي داخل الطبقة الواحدة تجد درجات اجتماعية متفاوتة ولكل فرد فيها مرتبته ومكانه المحدود. وقضت السياسة الإيرانية إلا يطمع أحد في مرتبة أعلا من المرتبة التي يخولها له مولده. حتى طبقات العامة كانت هناك تمييزاً واضحاً بينها. وحرم على أفرادها أن يشتغلوا بغير الصناعة التي خلقوا لها. أما الفلاحون فقد كانوا أسوأ حالاً، مرتبطين بالأرض يسخرون في فلاحتها ويساقون إلى الخدمة العسكرية. وكانوا أقرب إلى العبيد منهم إلى الأحرار لم توفر لهم قوانين الحماية التي وفرتها لبقية الطبقات.

وكانت أوضاع الجماعة الساسانية ينظمها قانون مدني، نتبين منه أن الأسرة عرفت تعدد الزوجات. وكانت الزوجة الرئيسية أرفع من الزوجة التي تليها مرتبة. وكانت هنالك الزوجات الخادمات من الرقيق أو السبايا. وللمرأة الممتازة الحق في أن يكفلها زوجها مدى الحياة في حين أن الزوجة الخادمة لا يلحق من أبنائها بنسب الأسرة إلا الذكور.

وقد أجاز القانون المدني الزواج بين المحارم: بين الأب والبنت والأم والإبن والأخ والأخت. بل أباحت الشريعة للزوج أن ينزل عن زوجته أو إحدى زوجاته لرجل آخر أصابته الفاقة ليكتسب بعملها. أما الأطفال ثمرة هذا الزواج المؤقت فينسبون للزوج الأول ويعتبرون من أبنائه.

كما عرض القانون للميراث فأباح للزوجة الممتازة وأولادها أن يرثوا بالتساوي كما حرم الإرث على الزوجة الخادمة وأبنائها.

وظلت هذه الشريعة متماسكة حتى آخر القرن الخامس حين زلزلتها المزدكية من أساسها، فلم تعد أمام الإسلام وشريعته تستطيع المقاومة أو الصمود.

* الهجرات العربية إلى إيران واستقرار العرب في هذا الوطن الجديد.

وقد استمرت الهجرة العربية بعد عمر بن الخطاب وزادت زيادة كبيرة في عهد عثمان، واستمر تيار الهجرة طوال العصر الأموي.

على أن الذي يعنينا من انتشار العنصر العربي هو التقارب التدريجي الذي حدث بين العنصرين: العرب والإيراني، فقد تم هذا التقارب في المدينة والريف على حد سواء. وكانت وسيلة هذا الاختلاط بين طبقة العرب من ناحية وأهل البلاد هي الزواج.

ومن نتائج هذه الهجرات: أن نشأت طبقة جديدة من المولدين أباؤهم عرب وأمهاتهم عجم.

الإسلام في الاتحاد السوفيتي السابق:

تحتل الإمبراطورية الروسية أجزاء واسعة من قارة آسيا الوسطى والشمالية وبعض المساحات في أوروبا.

ومن المعروف أن الاتحاد السوفيتي يشمل خمسة عشر جمهورية من بينها ست جمهوريات إسلامية هي: جمهورية أذربيجان، وجمهورية أوزبكستان، وجمهورية طاجيكستان، وجمهورية تركمانستان، وقازاخستان، وقرقيزيا.

دخول الإسلام إلى المناطق الروسية:

دخل الإسلام إلى المناطق الروسية في القرن الأول الهجري، ففي سنة 17هـ دخل المسلمون فاتحين إلى منطقة أذربيجان، وكذلك وصل الإسلام في سنة 21هـ إلى منطقة الداغستان وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، والخليفة عثمان ابن عفان وبدأ الإسلام يستقر في تلك المناطق.

وفي عهد الأمويين بدأت بعض الحملات الإسلامية تشق طريقها إلى تلك المناطق، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان تمكن سعيد بن عثمان من دخول بخارى وسمراقند.

على أن الفتح الأكبر لتلك المنطقة بلاد ما وراء النهر أو آسيا الوسطى، تم في أيام الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك، ففي سنة 86هـ، توفى قتيبة بن مسلم الباهلي إقليم خراسان من قبل الحجاج الثقفي عامل الأمويين على العراق والمشرق الإسلامي، فخرج قتيبة بن مسلم إلى بلخ وكانت أول جهة قصدها فسلمت إليه، ثم في 87هـ غزا بيكند في آسيا الوسطى وفتحها، وفي سنة 89هـ، فتح بخارى واتخذ بها مسجداً، وصالحه أهلها، ومنذ تطرق الإسلام إلى بخارى أصبحت قاعدة بلاد ما وراء النهر وعاصمته الدينية، وفي ظل الإسلام عرفت باسم "بخارى الشريفة التقية".

وفي سنة 93هـ فتح قتيبة بن مسلم مدينة خوارزم، وصالح أهلها، ثم فتح مدينة سمرقند وبنى بها مسجداً جامعاً، وفي سنة 94هـ فتح الشاش، وفرغانة.

ولما فتحت تلك البلاد على يد القائد المسلم "قتيبة بن مسلم"، ساد فيها الإسلام، وبنيت الدور والمساجد الإسلامية، واستقر المسلمون هناك، وزالت الأديان السابقة، وأصبحت مدن هذه المنطقة من أهم المراكز والحواضر الإسلامية.

وفي عهد العباسيين، أخذ الإسلام يتطرق إلى بعض المناطق الروسية فقد انتشر الإسلام في منطقة آسيا الوسطى إلى سهول القازاق، وسيبيريا، وقرقيزيا، نتيجة انطلاق الدعاة والتجار والاحتكاك مع أبناء هذه المنطقة.

اما في حوض نهر الفولغا (الفولجا) حيث مملكة البغار، فمع نهاية القرن الثالث الهجري. بدأ التجار المسلمون الذين يتجارون في الفراء مع أهل الشمال في تلك البلاد، ينشرون الإسلام في تلك المناطق فعن طريقهم أسلمت جماعة من البلغار، وكانوا قيصر البلغار الموش بن يلطوار قد طلب من الخليفة العباسي المقتدر بالله أن يرسل له بعثة من عنده لشرح مبادئ الإسلام، وأن يرسل له أيضاً من يبني للقيصر مسجداً يطل من محرابه على شعبه، وقلعة حصينة لمجابهة الأعداء، فأرسل إليهم الخليفة العباسي بعثة برئاسة ابن فضلان الجغرافي المعروف.

واختفى ملك البلغار بالبعثة العباسية، واعتناق الإسلام وسمى نفسه جعفر تيمناً بأمير المؤمنين العباسي، وغير اسم أبيه إلى عبدالله، فصار ينادى على المنبر باسمه الجديد جعفر بن عبدالله.

ومع اعتناق هذه النخبة للإسلام مارس البلغار الشعائر الإسلامية مخلوطة بالأعراف والعادات والتقاليد لعقود طويلة تالية.

ومع ظهور المغول في القرن السابع الهجري، وقعت جميع بلاد آسيا الوسطى تحت أيدي المغول، ودخلوا أوروبا واحتلوا بلاد الروس، وتمكن جنكيز خان من أن يجعل من روسيا ولاية تتارية في سنة 633هـ.

وكان جنكيز خان قبل أن يموت قد قسم إمبراطوريته الواسعة على أولاده، فكان نصيب ابنه الكبير جوجي أو دوشي خان القسم الغربي من إمبراطوريته ويضم روسيا وبلوندة، وأعطى ابنها لثاني جغطاي أو جغتاي آسيا الوسطى، وكانت الصين من نصيب ابنه أوجتاي أو أكداي، وأعطى فارس لولده تولوي أو طولوي، وأسس كل واحد منهم أسرة حكمت المنطقة التي كانت من نصيبه.

لكن الإسلام سرعان ما استوعب هؤلاء المغول وأقبلوا عليه طوعاً واختياراً، فاعتنقوا الإسلام، منهم: بركة خان حاكم بلاد القفجاق، الذي كان على المذهب السني، وحفظ القرآن الكريم، وجعل كل جيشه مسلماً، وجرت العادة أن يحمل كل فارس في جيشه سجادة للصلاة، ومنع عنهم كل مسكر.

 وكانت الطبقة الراقية في بلاده تضم مشاهير العلماء من المفسرين ورجال الحديث، والفقه، وكان في بلاطه عدد كبير من رجال الدين، كما حفل بلاطه بالمجالس والمناظرات الدينية، وأمر بركة خان أن يكون في حاشية كل واحدة من زوجاته، أو أمير من أمرائه إمام ومؤذن لإقامة شعائر الدين، وأظهر شعائر الإسلام في مملكته، واتخذ المدارس لتعليم مبادئ الدين الإسلامي، وتحفيظ القرآن الكريم، وأكرم الفقهاء والعلماء، فأسلمت زوجته واتخذت لاه مسجداً من الخيام.

كما أنهم تلقبوا بألقاب المسلمين، منهم تكودار بن هولاكو خان ثالث خانات المغول في فارس الذي أسلم فحسن إسلامه وتلقب بأحمد تكودار أو أحمد سلطان، وأرسل إلى بغداد يعلن فيها إسلامه ويدعو أهلها إلى السير طبقاً إلى الشريعة الإسلامية وإظهار شعائر الإسلام، وبذل جهداً كبيراً في تحويل المغول إلى الإسلام، وبنى المساجد والمدارس، ورتب القضاة، وانصاع لأحكام الشريعة الإسلامية، وزوج بناته لأمراء المسلمين من المغول، وكانت علاقته طيبة بسلطان المماليك في مصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

كما أن المغول أعلنوا الطاعة للإسلام، فخطبوا للخلفاء الراشدين في بلاد فارس وللخلفاء العباسيين في بلاد القفجاق. والاكثر من ذلك أن المغول أخذوا يعيدون الحضارة الإسلامية إلى سابق عهدها، ربما تكفيراً عن سيئاتهم، فحاولوا إصلاح ما أفسدته أيديهم، فأصلحوا ما هدموه، ولم يكتف المغول بإصلاح المدن المخربة فحسب، بل أنشئوا مدناً جديدة مثل مدينة سلطانية، وأنشئت بها مبان كثيرة، تدل على نهضة العمارة الإسلامية.

ولكن الاستعمار الروسي أخذ يظهر، فقد تجمع الروس حول أمير موسكو وأمير كييف، واتحدوا مع الصليبيين، وأخذوا يغزون المناطق الإسلامية وأثاروا الذعر والقتل بين المسلمين، وما كاد القرن الثالث عشر الهجري ينتهي حتى سيطر الروس على كل البلاد والخانات الإسلامية الموجودة ضمن الإمبراطورية الروسية.

وعندما قامت الثورة الشيوعية سنة 1336هـ/1917م، قسم الروس بلاد المسلمين إلى عدد من الوحدات الإدارية في سبيل تفتيت المسلمين، وتجزئة أراضيهم وتفرقة صفوفهم، هذا في الوقت الذي أخذ يستوطن فيه عدد كبير من الروس في عهد المناطق الإسلامية حتى شكلوا نسباً كبيرة تختلف بين وحدة وأخرى.

الإسلام في الهند

الموقع: شبه جزيرة واسعة في جنوبي قارة آسيا.

اختلف الكُتاب في نشأة وتسمية هذه البلاد، فمنهم من نسبها إلى "أندرا" إله الهند القديمة، ومنهم: من نسبها إلى نهر السند، ذلك النهر الذي كان يعرفه الفرس القدماء باسم "هند هو" جرياً على عادتهم في إبدال السين السنسكريتية بالهاء. وتتكون جمهورية الهند من اتحاد سبعة عشر ولاية (كل ولاية لها عاصمة خاصة)، وثمان مقاطعات (وكل مقاطعة لها أيضاً عاصمة خاصة).

النظام الطبقي في الهند:

لم يعرف تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي أشد قسوة وأعظم استهانة بشرف الإنسان من النظام الذي اعترفت به الهند دينياً ومدنياً وسياسياً قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثلاثة قرون، حين وضع "منوشاستر" أو "منو" مرسوم جديد للمجتمع الهندي، وألف فيه قانون مدني وسياسي اتفقت عليه البلاد، واصبح قانوناً رسمياً ومرجعاً دينياً في حياة البلاد ومدنيتها.

وبحكم هذا القانون قُسم أهل البلاد إلى أربعة طبقات متفاوتة وهي:

البراهمة: وقد جعلهم هذا القانون صفوة الله، وملوك الخلق، وأن ما في العالم من شيء هو ملك لهم، وأن البرهمي الذي يحفظ "ريك ويد"- أي الكتاب المقدس- هو رجل مغفور له.

الشتري: وهو رجال الحرب، وهم دون البراهمة بكثير.

الويش: وهم الزراع والفلاحون.

الشودر: وهم الخدم، وينص هذا القانون هم احط من البهائم، ومن سعادتهم أن يقوموا بخدمة البراهمة، وليس لهم أجر وثواب غير ذلك.

ومن العقائد والأديان السائدة في الهند:

الديانة الهندوسية: وهي الديانة الرسمية في الهند، ويدين بها حوالي 84% من عدد السكان.

الديانة الإسلامية: ويدين بها حوالي 14-15% من عدد السكان.

الديانة المسيحية: ويدين بها حوالي 2.4% من عدد السكان.

الإسلام في جنوب آسيا

أولاً: إندونيسيا:

التسمية: قيل أن اسمها يتكون من مقطعين وهما: "إندو" ومعناها الهند، و"نيسيا" ومعناها الجزر، وهذا ما كانت تشير إليه كتابات الكتاب والجغرافيين دائماً بتسميتها جزر الهند الشرقية، وتسمى أحياناً باسم الأرض الخضراء، ومنذ القرن الـ13هـ. أصبحت تعرف باسم إندونيسيا.

دخول الإسلام إلى إندونيسيا:

يرى البعض أن الإندونيسيين هم أول من أدخل الإسلام إلى بلادهم، ثم ساعدهم في انتشاره بعد ذلك الهنود ثم الفرس فالعرب، ويذكر أن التجار الإندونيسيين قد زاروا بغداد على أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد، فتأثروا بالحضارة الإسلامية العربية وبالدين الإسلامي فعادوا إلى بلادهم ينشرون الدين الجديد.

على أن الإسلام أخذ ينتشر بالطرق السلمية وبالوسائل المختلفة في أنحاء الجزر والمقاطعات الإندونيسية.

1- الإسلام في سومطرة:

كان شرف أول دعوة إسلامية فيها، ينسب إلى شيخ عربي يدعى "عبدالله عارف" الذي زار سومطرة حول منتصف القرن السادس الهجري، وشاركه في الدعوة تلميذه "برهان الدين".

وبعد ذلك أرسل شريف مكة جماعة إسلامية إلى سومطرة كان رئيسها رجل يدعى الشيخ "إسماعيل" وقد لاقت هذه الجماعة نجاحاً عظيماً في دعوتها.

2- الإسلام في جاوه:

كانت أول محاولة لدخول الإسلام إلى جاوه منذ القرن الـ6هـ عن طريق احد أفراد الجزيرة، وهو ابن ملك "باجاجان" الذين كان يزاول التجارة فذهب إلى الهند ولقي بعض التجار من العرب، فاعتنق الإسلام على أيديهم وعاد إلى وطنه ليبشر بالإسلام ولكن دعوته لم تلق النجاح.

وفي القرن الـ8هـ، تكونت حركة للدعوة إلى الإسلام، على يد شخص يدعى مولانا ملك إبراهيم، وكان يعمل بالتجارة، نزل في شمال شرق جاوه وهناك أخذ يدعو أهالي البلاد إلى الإسلام وأحرز نجاحاً في هذا السبيل، وتوفي ملك إبراهيم 822هـ، ولا يزال المسلمون يعظمون قبره ويعدونه أول رسل الإسلام إلى جاوه بإندونيسيا.

ومن الدعاة الذين كان لهم الباع الطويل في نشر الإسلام في جاوه الداعي "رادن رحمت" وولده، فقد ذاعت شهرتهم الدينية وبنوا المساجد.

وكذلك الداعي الشيخ "نور الدين إبراهيم"، حيث اعتنق كثير من الناس الإسلام على يديه، على إثر شفائه لامرأة كانت مصابة بالجذام، فتوافد عليه الآلاف ليتعلموا شعائر الدين الجديد، وكذلك ابنه "حسن الدين" الذي أخذ يدعو الناس بالوسائل السلمية في جاوه وسومطره.

3- الإسلام في بورنيو:

تطرق الإسلام إلى بورنيو أوائل القرن الـ10هـ، حينما قامت مملكة "بنجر ماسين" في بورنيو، وطلب شعب هذه المملكة من المسلمين مساعدتهم في قمع إحدى الثورات، وأن هذه المساعدة قدمت لهم بشرط أن يعتنقوا الدين الإسلامي، ومن ثم قدم عدد من مسلمي جاوه، وقضوا على هذه الثورة وعملوا بهذا الشرط وتحولوا إلى الإسلام.

أهم الممالك الإسلامية في إندونيسيا:

كان لانتشار الإسلام في الجزر الإندونيسية، أثره العميق في قيام مجموعة من الممالك الإسلامية في إندونيسيا، وقد عمل حكامها هناك على التوسع في عملية انتشار الإسلام حتى أصبح ذلك الدين يمثل دين الغالبية للسكان هناك، وقضى على العديد من العقائد والديانات الوثنية التي كانت سائدة بين الناس هناك، ومن ثم الممالك:

* مملكة متارام: في شرقي جاوه
* مملكة بنتام: في غربي جاوه.
* مملكة ديماك: في وسط جاوه.
* مملكة برلاك: في سومطرة.
* مملكة آتشيه: في شمالي سومطره.
* مملكة بالمبانج: في جنوبي سومطره.

ثانياً: ماليزيا:

يرى بعض المؤرخين أن رحلات التجار العرب إلى جزر الملايو واستقرارهم في موانيها التجارية الساحلية. ادى إلى حدوث علاقة حسنة وصداقة واحتكاك مع السكان الأصليين، الأمر الذي ادى إلى انتشار الإسلام.

كما أن التجار المسلمين كثيراً ما كانوا يتخذون عبيداً يساعدونهم في شئونهم الداخلية وخدمتهم فيعتنقون الإسلام، فيجدون بالعمل ويخلصون فتزيد مكانتهم في المجتمع.

كما أن اتصال التجار المسلمين غالباً ما كان مع الأثريات والحكام، وهذا ما أعطى المسلمون مركزاً رفيعاً، ويقدم التجار للحكام خدمات فيقابلهم الحكام بأحسن منه رداً للجميل، ويراعون التقاليد الإسلامية حتى يبدو أن هؤلاء الحكام يتخذون سلوكاً إسلامياً، وهذه المنزلة التي وصل إليها التجار المسلمون من العرب وغيرهم تجعلهم يستطيعون مع التأثير على السكان في جذبهم إلى الإسلام.

إلى جانب أن الدعاة إلى الإسلام قد وصلوا إلى هذه البلاد وأخذوا يعملون على نشر الإسلام تطوعاً في سبيل الله. ومنهم تكونت نواة الجماعة الإسلامية التي لم يأل أفرادها جهداً في زيادة عدد المسلمين الجدد.

علاوة على أن بعض المسلمين كانوا يقبلون على التزوج من الفتيات الملايويات، وغالباً ما كانت الفتيات من العائلات المرموقة، فتدخل الفتاة في دين زوجها (الإسلام) وعن طريقاه يعتنق أهلها وقومها عقيدتها الإسلامية لما يرون من معاملة زوجها لها من معاملة كريمة وخلق رفيع.

أخذ بعض مسلمي بلاد الهند ممن يعمل بالتجار في نشر الإسلام في الجزر الملايوية والإندونيسية، ولهذا أقبل أهالي البلاد من الملايويين على اعتناق الإسلام.

أخذت الدعوة الإسلامية تشق طريقها في هذه البلاد عن طريق المهاجرين المسلمين الفارين بدينهم من هول أخطار المغول والمذابح التي ارتكبوها عند اجتياحهم للمدن الإسلامية.

مملكة ملقا الإسلامية (803- 917هـ).

ملقا هي مدينة ساحلية تقع في الجنوب الغربي من ماليزيا، وقد شهدت ملقا قيام أول مملكة إسلامية على يد الملك "باراميسورا" الذي اعتنق الإسلام بتأثير من قبل سكان ملقا.

وتميزت مملكته آنذاك بشخصيتها السياسية والفكرية والحضارية الإسلامية، واهتم بنشر الإسلام عن طريق تجهيز السرايا والجيوش، أو بتجارتها أو بمصاهرتها الملكية.

الاستعمار في ماليزيا في العصر الحديث وموقف الإسلام:

تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على ملقا الإسلامية سنة 917هـ أجبر خلالها المسلمون على اعتناق المسيحية وإبادة كل من لا يستجيب إلى هذه الدعوة.

ثم تمكنت هولندا من السيطرة على شبه جزيرة الملايو سنة 1023هـ، كما احتلت ملقا سنة 1052هـ، وتابع الاستعمار الهولندي نفس سياسة الحقد والكراهية ضد المسلمين فلاحقوهم وقتلوا الكثير منهم.

ولم يأت عام 1242هـ، حتى صارت جزر الملايو وسنغافورة مستعمرات بريطانية. والتي قامت بتجزئة البلاد حسبما تقتضيه المصلحة الاستعمارية الصليبية.

استقلال ماليزيا:

استقلت ماليزيا سنة 1377هـ/1957م، أصبح الإسلام طبقاً للدستور الماليزي هو الديانة الرسمية للدولة، كما أصدرت الحكومة الماليزية قراراً يقضي بتدريس الدين الإسلامي في المدارس، كما يشرف المجلس الوطني للشئون الإسلامية على نشاط الدعوة الإسلامية التي تقوم بها الجمعيات والهيئات والمنظمات الإسلامية المنتشرة في جميع أنحاء البلاد.

ومن أهم ملامح الإسلام في ماليزيا:

لكل ولاية من ولايات ماليزيا "مفت"، انتشار مراكز البحوث الإسلامية، انتشار المساجد في أنحاء ماليزيا، والمساجد هناك في غاية الروعة والجمال وآية في النظافة عامرة بالمصلين، حافلة بالدروس والمواعظ الدينية المستمرة، وللمرأة المسلمة في ماليزيا مظهر إسلامي رائع لاسيما في المسجد، بثوبها الأبيض، ويتم وضع المسلمين هناك في المسجد على النحو التالي: صفوف الرجال، صفوف الصبيان، صفوف النساء.

ثالثاً: الفلبين:

التسمية: كانت الفلبين تعرف قبل باسم جزر "مانبولاس" وبعد غزو الأسبان لها أطلقوا عليها اسم الفلبين نسبة إلى فيليب الثاني الذي أصبح ملكاً على أسبانيا، فنسبت التسمية إليه. كما أطلق الاوربيون المستعمرون بعض التسميات عليها مثل: الجزر الشرقية، دور الشرق، عذراء ماليزيا، سبعة آلاف زمردة.

انتشر الإسلام في الفلبين في المقاطعات التالية:

* الإسلام في سولو:

تقع جزر سولو في جنوب الفلبين، وعن دخول الإسلام إلى هذه الجزيرة، تذكر الروايات التاريخية أن شخصاً عربياً يدعى "كريم المخدوم" يعد أول داع للإسلام في جزر الهند الشرقية، ثم واصل رحلته حتى وصل إلى سولو سنة 782هـ، حيث بنى له الأهالي هناك مسجداً.

وبعد وفاة الشيخ "كريم المخدوم" برزت شخصية إسلامية في مجال الدعوة إلى الإسلام في سولو هي: الشريف أبو بكر محمد بن علي بن زين العابدين الذي جاء من مملكة جهور الإسلامية في ماليزيا.

امتلك مقومات الشيخ الداعي إلى الإسلام فهو فقيهاً عالماً، معروفاً بحماسته الدينية، أسلوبه في الدعوة قائماً على أساس من الحجة المتينة والإقناع الحر، وبعد زواج الشيخ من ابنة سلطان سولو انتقلت إليه وراثة البلاد وزعامتها الروحية.

وتوجه إلى تدبير أمور الدولة – فأكثر من بناء المساجد، وقسم الجزيرة إلى خمسة أقسام إدارية، جعل على كل منها رئيساً يزاول السلطة والمراقبة نيابة عنه، وقد تناوب على خلافة سولو بعد وفاته سلاطين على شاكلته علماً وشجاعة وغيرة على الدين والوطن.

وقد تعرضت سولو للحملات الصليبية، لكن رجالها تصدوا لها، ولا تزال سولو إلى الآن أرضاً إسلامية يمارس أهلها شعائر الإسلام.

* الإسلام في مينداناو:

إن دخول الإسلام إلى هذه الجزيرة كان على يد الشريف "كابو نجسوان". وصل عدد المسلمين فيها إلى 360ألف أسرة، كما قدم دعاة من المسلمين من مسلمي الصين والهند الذين عملوا كرؤساء دينيين ومعلمين للأهالي، ولهذا جدد المسلمون في جزيرة مينداناو الدعوة إلى الإسلام التي بدأها الدعاة الذين وصلوا إلى هذه الجزيرة من قبل.

الاستعمار في الفلبين:

كان الإسلام قبل وصول الأسبان إلى الفلبين يمثل دين الأغلبية من سكان البلاد، وقامت ممالك إسلامية كثيرة امتدت في طول البلاد وعرضها، ويمكن القول أنه لو تأخر غزو الأسبان للفلبين لمدة نصف قرن لتحول أهالي الفلبين إلى الإسلام ولتغير تاريخ المنطقة بأسرها.

وقد لجأت أسبانيا أثناء فترة استعمارها للفلبين أن تستخدم كل الوسائل الاستعمارية لتطويق المسلمين والعمل على القضاء عليهم نهائياً.

وواصلت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة اضطهاد المسلمين حين انتقلت السيادة على الفلبين من أسبانيا إليها.

وحين استقلت الفلبين سنة 1946هـ أصبحت المناطق الإسلامية الجنوبية ضمن جمهورية الفلبين، إلا ان الحكومة الفلبينية الجديدة وقفت بجانب الكاثوليكية المسيحية ضد المسلمين، ولقي المسلمون من العنت والإبادة والتعذيب والقتل فوق ما يتصوره البشر.

النهضة الإسلامية في الفلبين:

في سنة 1374هـ نشأت في الفلبين نهضة إسلامية يغذيها حماس شديد بين صفوف الشباب المسلم الفلبيني، تركز اهتمامها في:

* 1. إنشاء المدارس الدينية والإسلامية: التي توفر التعليم الديني والإسلامي للأطفال المسلمين.
	2. محاول إيفاد الطلاب المسلمين للدراسة بالدول العربية والإسلامية.
	3. استقدام المدرسين من الدول العربية والإسلامية مثل مصر والمملكة العربية السعودية وباكستان وإندونيسيا وغيرها.
	4. إنشاء المكتبات.
	5. إنشاء المنازل للطلاب التي تكون بمثابة مدن جامعية للطلاب المسلمين.
	6. إنشاء المعاهد الإسلامية التي ترعى الطلاب المسلمين من مرحلة التعليم الأولى حتى نهاية التعليم الجامعي.
	7. عقد المؤتمرات الدولية للبحث في شئون المسلمين في الفلبين يحضرها علماء المسلمين.
	8. إنشاء المراكز الإسلامية التي ترعى شئون المسلمين هناك.
	9. إنشاء العديد من المساجد في أنحاء الفلبين.
	10. إنشاء مؤسسات ومنظمات إسلامية تأخذ بأيدي المسلمين في مختلف نواحي الحياة لرفع مستواهم الديني والاجتماعي بصفة عامة.

انتشار الإسلام في شمال إفريقيا

تمتد بلاد شمال إفريقيا من حدود مصر حتى ساحل المحيط الأطلسي. كانت السياسة البيزنطية في بلدان شمال إفريقيا التابعة لهم سيئة في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لذلك اتسعت الهوة بينهم وبين شعوب شمال إفريقيا، مما مهد الطريق أمام الفتح الإسلامي لهذه البلاد.

فتح مصر:

وكان على المسلمين أن يستفيدوا من هذا الخلاف بين أهل البلاد والبيزنطيين، ولذلك كان إصرار عمرو بن العاص على فتح مصر بعد فتح الشام، رغم كثرة الجبهات التي يحارب فيها المسلمون آنذاك، وقلة عدد الجند المتاح لفتح مصر وإفريقية.

ولكن عمرو بن العاص تمكن من دخول مصر وفتح حصن بابليون والإسكندرية بين سنتي 19 و20هـ، والغريب جداً أن أهل مصر كانوا يساعدون المسلمين ويتمنون سيطرتهم على بلادهم وذلك يعود إلى:

* أن الروم قد أساءوا إلى الشعب المصري بفرض الضرائب الفادحة حتى لقد وصل الأمر بهم إلى ان فرضوا الضرائب على الموتى، فلا يسمحون بدفنهم إلا بعد أن يدفع أهلهم الضرائب.
* سمع المصريين عن معاملة المسلمين الحسنة مع أهل الشام وكيف استراحوا من ظلم الروم.

بعدها: بنى عمرو مدينة الفسطاط وجامع عمرو بن العاص.

فتح بلاد المغرب:

ويسكن بلاد المغرب جنس متميز هو الجنس البربري الذي أطلقه اليونانيون على بعض سكان المغرب، بينما أطلقه العرب عليهم جميعاً، أما السكان أنفسهم فلم يسموا أنفسهم بالبربر بل تسمت كل قبيلة منهم باسمها مثل لواتة وصنهاجة ورزناتة وما إلى ذلك.

تقدم الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص لفتح برقة وطرابلس لحماية حدود مصر الغربية من خطر الروم البيزنطيين الذين ما زالوا في إفريقية، ويمكن أن يستردوا مصر من هذا الطريق الغربي.

ثم حاصر عمرو برقة سنة 22هـ، وعرض على أهل برقة وهم من قبيلة لواتة البربرية الإسلام او الجزية أو القتال، فاختاروا الصلح ودفع الجزية.

وهذه السياسة السمحة ساعدت على انتشار الإسلام بين أهل برقة وسرعة اندماجهم مع العرب، واختلاطهم بهم بعد تزاوج العرب من بناتهم، حتى إن بعض أهل برقة اللواتيين عندما كانوا يعجزون عن دفع الجزية يبيعون بناتهم للعرب مقابل الجزية فيتزوجها الجندي العربي.

وفي هذه الأثناء أرسل عمرو بن العاص جيشاً آخر بقيادة عقبة بن نافع لفتح صحراء برقة وفزان، ولم يواجه عقبة مقاومة تذكر حتى بلغ زويلة، وأشاد المؤرخون بهدوء هذه الأقاليم، فقال البلاذري: "إن ما بين زويلة وبرقة مسلم كلهم. حسنة طاعتهم، فقد ادى مسلمهم الصدقة، وأقر معاهدهم الجزية".

وواصل عمرو بمن معه من قوات فتوحات في الساحل، فتوجه إلى طرابلس فحاصرها شهراً حتى تمكن من دخولها، وفرت حامية الروم في المراكب، واستسلم أهلها للمسلمين.

وأراد عمرو أن يواصل فتوحاته في إفريقية، فأرسل يستأذن من الخليفة عمر بن الخطاب في ذلك، ولكن الخليفة رفض أن يجيبه إلى طلبه، لأنه كان يخشى على جيوش المسلمين أن تناسب وتتبعثر في هذه المناطق الشاسعة، وهي لم تثبت أقدامها بعد في البلاد التي فتحتها مثل مصر والشام، فعاد عمرو إلى الفسطاط لتأمين فتوحاته في مصر من خطر عودة البيزنطيين إليها مرة أخرى.

بعد تولي الخليفة عثمان بن عفان خلافة الدولة الإسلامية قرر مواصلة فتح شمال إفريقيا، وكلف بذلك والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح، الذي توجه إلى أرض إفريقية (تونس) واقترب من مدينة سبيطلة عاصمة الروم هناك، والتقى الجيشان. وانتصر المسلمون في هذه الموقعة انتصاراً حاسماً، وقتل القائد البيزنطي على يد عبدالله بن الزبير الذي كان مشاركاً في الحملة، ودخل المسلمون عاصمتهم سبيطلة، وغنم العرب ما تركه الروم من غنائم كثيرة.

ثم توقفت الفتوحات في إفريقية بسبب الفتنة التي حدثت في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان وعصر الخليفة علي بن أبي طالب، وعندما استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان تجدد نشاط الفتوحات الإسلامية في إفريقية.

فكلف الخليفة القائد معاوية بن حديج بالتوجه إلى إفريقية سنة 45هـ، والذي نجح في السيطرة على قابس وبنزرت وسوسة، ثم أرسل معاوية سرية بقيادة عبدالملك بن مروان سيطرت على حسن جلولاء، وهو من أمنع الحصون البيزنطية في إفريقية.

رأى الخليفة معاوية بن أبي سفيان أن يفصل ولاية إفريقية عن مصر، ويجعل لها عاملاً مستقلاً، فعين عليها عقبة بن نافع سنة 50هـ. وبدأ عقبة ولايته على إفريقية بتوطيد نفوذ المسلمين فيها وتثبيت أقدامهم بإقامة مدينة عربية تكون بمثابة قاعدة عسكرية ثابتة لهم في بلاد المغرب، فشرع في بناء مدينة القيروان.

ويدل بناء القيروان على تفكير عقبة السياسي السليم فإن إنشاء بلد إسلامي في وسط ولاية إفريقية معناه تحولها إلى جزء من دولة الإسلام، وبدون هذا تظل منطقة حدود ومغاز وسرايا، ولم تكن المدينة قاصرة على العرب فقد أقام بها بعض البربر الذين اعتنقوا الإسلام، وكثر دخولهم فيه، واختلطوا بالعرب، وتعلموا العربية مما يعد بداية ظهور المغرب الإسلامي العربي.

ويسجل لنا التاريخ أن عقبة بن نافع ركب مع وجوه العسكر من التابعين والعباد فدار بهم حول مدينة القيروان وهو يدعو لها ويقول: "يا رب املأها فقهاء وعلماء، واعمرها بالمطيعين والعابدين، واجعلها عزاً لدينك، وذلاً لمن كفر بك، وأعز بها الإسلام، واصلح بها المغرب، وامنعها عن جبابرة الأرض".

وعزل عقبة بن نافع وعين بدلاً منه أبا المهاجر دينار سنة 55هـ، الذي رفض النزول في القيروان، ونزل بقرية بربرية قريبة منها تسمى دكرور حيث ازداد الاختلاط بين العرب والبربر، وسعى أبو المهاجر لاستمالة البربر عن طريق نشر الإسلام بينهم، ونجحت هذه السياسة نجاحاً كبيراً، إذ اعتنق زعيم قبيلة البربر البرانس الإسلام واسمه كسيلة. ونتيجة لاعتناق هذا الزعيم الإسلام تحالف البربر البرانس مع المسلمين وآزروهم في حروبهم ضد الروم.

ومن ضمن القادة المسلمين في بلاد المغرب كان حسان بن النعمان الذي أتمّ فتح إفريقية والمغرب، وأصبح الطريق مفتوحاً لأن تكون هذه البلاد بلاداً إسلامية عربية، بعد نضال عنيف استغرب نحو خمسين سنة. فما كاد القرن الثاني الهجري يأذن بالانتهاء حتى كان الإسلام قد استقر في بلاد المغرب، ودخل المغاربة فيه، واندمجوا في الحياة الإسلامية، واكتسبت ثقافتهم الصبغة العربية الواضحة.

انتشار الإسلام والتعريب بين البربر:

كانت المسيحية في بلاد المغرب لم تتجاوز المناطق الساحلية لأن النفوذ الروماني والبيزنطي الذي يتولى نشر الديانة ويحميها لم يكن يتجاوز هذا النطاق، بالإضافة إلى طبيعة البلاد الجبلية التي كانت تعوق نشر المسيحية، مما جعل معظم أهل هذه البلاد على الوثنية.

وما دام المغاربة كان إقبالهم على المسيحية ضعيفاً فإنها بالتالي لم تجد من يناضل من أجلها، ولم تستطع المسيحية وهذا حالها أن توقف المد الإسلامي، كما لم تستطع العقائد البدائية أن تنافس الإسلام أو تقاومه، مما يسر للإسلام أن ينتشر ويعم البلاد كلها.

وكانت قبائل البربر البتر الذين يمثلون البدو، ويسكنوا المناطق الجبلية والصحراء أسرع استجابة للإسلام من بربر البرانس الذين يسكنون المناطق الساحلية، ويرتبطون بالرومان وديانتهم وحضارتهم، وكان الفريقان في عداء مستمر وصراع دائم، لذلك سارع البتر بالانضمام إلى الفتح الإسلامي، وأيدوه من أول الأمر، بل وشاركوا المسلمين في جهادهم ضد الرومان، وأول القبائل في ذلك لواته ونفزاوه ونفوسه وزناته.

وعندما قضى المسلمون على الوجود البيزنطي في إفريقية، وامتد نفوذهم على مناطق واسعة في بلاد المغرب لم يشأ بربر البرانس أن يتخلفوا عن الركب، وبدءوا بدورهم يدخلون في الإسلام، وخاصة أن أفراد منهم قد دخلوا في الإسلام مبكراً منذ ولاية عقبة، ثم زاد عددهم في ولاية أبي المهاجر بسبب سياسة اللين التي اتبعها.

ثم ازداد انتشار الإسلام بصورة كبيرة في عصر حسان بن النعمان بسبب سياسته التي اتبعها إزاء البربر:

1. فقد منح البربر الذين يؤيدون الفتح ويؤازرونه حق المساواة الكاملة مع العرب، فوضح أمامهم ما ينطوي عليه الإسلام من مساواة بالفاتحين، وما يحقق لهم ذلك من مكاسب مادية ومعنوية، وبالتالي إذا ما شاركوا في جيش الفتح، سيحصلون على حقهم المشروع من العطاء والفيء والغنائم.
2. وزاد حسان على ذلك بأن اعتبر بلاد المغرب مفتوحة صلحاً لا عنوة، وهذا يقلل قيمة الخراج الذي يدفعونه. فتبين للبربر اختلاف سياسة العرب عن سياسة الرومان، الذين كانوا يجعلونهم في المرتبة الثانية مهما بلغت مكانتهم وولاءهم لهم.
3. وقد أرسل حسان إلى القبائل الكبرى دعاة يدعون أهلها إلى الإسلام ويرشدونهم إلى قواعده، ويقومون بالقضاء بينهم بشريعة الإسلام، ويجمعون ما تقرر عليهم من الأموال، بعد أن اعتبر القبائل وحدات مالية إدارية يعين لكل منها عامل خراجها وقاضيها، ويقرر عليها خراجها أو جزيتها في حالة عدم إسلام أفرادها مما جعل البربر يتجهون اتجاهاً طبيعياً إلى الإسلام، فقد صادف الإسلام نفوساً طيبة على الفطرة في حاجة إلى الإيمان بعقيدة ترفع مستواها، وترسم لها مبادئ ومثل عليا، فتمكن من قلوب أهلها.
4. ثم كان العمل الكبير لحسان بن النعمان الذي ساعد على الإسلام وتعريب البربر وهو بناء مدينة تونس، فبعد أن قضى على قرطاجنة لمنع الروم من العودة إلى إفريقية، كان لزاماً عليه أن ينشئ لإفريقية ثغراً آخر يحل محله، وأضاف حسان بذلك إلى موانئ البحر المتوسط ميناءاً سيكون مركزاً للثقافة الإسلامية والعربية.

وجنى حسان ثمار سياسته الحسنة في بلاد المغرب، فقد أصبح ضمن قواته إلى جانب العرب اثنا عشر ألف من البربر، وكان التحاق هذا العدد في الجيش يعني دخولهم مع أسرهم في الإسلام، ولذلك عهد حسان إلى ثلاثة عشر فقيهاً من التابعين بتعليمهم القرآن وأصول الإسلام، وتعليمهم اللغة العربية، كما علمهم اختلاطهم بالعرب العادات والتقاليد العربية. وكان من نتيجة هذا أن بدأ البربر يبنون في مناطقهم المساجد لأهليهم وأولادهم.

كـان انتشار الإسلام في عصر حسان النعمان يصاحبــه انتشار اللغة العربية وخاصة بعدما قام حسان من تنظيم الإدارة الإسلامية في بلاد المغرب:

1. دوّن الدواوين.

2. نظم أمر الجزية على بقايا الروم والأفارقة والبربر الذين لم يسلموا.

3. قرر مقادير الخراج التي يدفعها الناس على الأرض الزراعية.

ووجد البربر أنفسهم أرفع شأناً في هذا التنظيم الجديد من سادة الأمس الروم ومواليهم، ولذلك اختفى العنصر الرومي من البلاد شيئاً فشيئاً حتى انعدمت آثارهم تقريباً، واختفت تبعاً لذلك لغاتهم من يونانية ولاتينية التي يستعملها هؤلاء الروم والأفارقة، وبدأت تحل محلها اللغة العربية.

موسى بن نصير:

سار على سياسة حسان فقرب إليه البربر:

1. أشرك البربر مع العرب في إدارة البلاد.
2. أشرك البربر في جيوشه على نطاق واسع.
3. كما عهد إلى الفقهاء بتعليم البربر قواعد الإسلام، لأنه أحب ألا يكون إسلام البربر خوفاً أو رهبة بل اقتناعاً وحباً.
4. أكثر من إنشاء المساجد كما كان يفعل حسان.
5. ركز على بلاد المغرب الأقصى، التي قام بغزوها حتى شاطئ المحيط الأطلسي، ولم تستعص عليه سوى مدينة سبتة، فاكتفى بأن عين مولاه طارق بن زياد البربري على ثغر طنجة المجاور لها، وكلفه بمراقبة سبتة، وتشديد الحصار عليها.

بينما توغل موسى بن نصير في المغرب الأقصى لردع المخالفين، وحماية من اعتنق الإسلام أو المستأمنين، حتى أصبح المغرب الأقصى بشعوبه وقبائله طوع يمينه، حتى أنه عندما بدأ يستعد لفتح الأندلس كان أغلب جيشه من قبائل المصامدة الذين كانوا يسكنون المغرب الأقصى، والذين شاركوا في الفتح طمعاً في الغنائم أو حباً في الجهاد.

وكان لفتح الأندلس أعظم الأثر في انتشار الإسلام بين البربر، فقد كانت انتصارات المسلمين على أرض الأندلس حافزاً لمن تخلف من البربر المسلمين إلى عبور البحر للاشتراك مع إخوانه في هذه الانتصارات، ثم دافعاً لمن بقي على دينه إلى الدخول في الإسلام، حتى يتاح له الالتحاق بجند المسلمين، فحاربوا مع المسلمين جنباً إلى جنب، وخالطوهم حتى ثبتت العقيدة في نفوسهم.

وقد شارك الخلفاء مع الولاة في الاهتمام بأمور المغرب ونشر الإسلام به، وعلى رأسهم الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي جعل همه نشر الإسلام قبل كل شيء، لذلك عزل عن المغرب الوالي محمد بن يزيد القرشي لشدته في معاملة أهل المغرب، وعين بدلاً منه إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر سنة 100هـ، وهو حفيد الوالي السابق أبي المهاجر دينار.

وكان مثل جده في معاملة البربر باللين والحسنى، واهتم بدعائهم إلى الإسلام حتى قال عنه ابن عبدالحكم "فلم يبق في ولايته يومئذ من البربر أحد إلا أسلم".

وقد أعانه الخليفة عمر على هذه السياسة بأن بعث إلى المغرب عشرة من فقهاء التابعين من أهل العلم والفضل لتعليم المغاربة أصول الإسلام والحلال والحرام، وأقاموا في مدينة القيروان وغيرها من المدن المغربية، وأقاموا المساجد وجعلوها مدارس للإسلام، يقصدها البربر من جميع أقاليمهم.

وقد أخذ عن هؤلاء التابعين كثيرون من أهل البلاد، فإذا تعلم فريق من أهل البلاد الأصليين، وقضوا بعض الوقت في الدراسة على أيدي هؤلاء التابعين عادوا إلى بلادهم، فيتولون وظائف الإمامة والقضاء، ويعملون بدورهم على نشر الإسلام وثقافته العربية.

وكما أقبل البربر على الإسلام أقبلوا على اللغة العربية، ووجدوا فيها أداة طيعة تمكنهم من التفاهم فيما بينهم، فقد تعددت لهجاتهم، وكانت اللغة العربية مكتوبة يستطيعون عن طريقها أن يسجلوا تراثهم.

ويدل على إقبالهم على اللغة العربية ما ترويه كتب الطبقات من رحيل الكثير منهم في القرن الثاني الهجري إلى الشرق للاستزادة من العلم الذي كان قائماً على اللغة العربية، وظهر منهم من يكتب ويؤلف باللغة العربية.

وفي أواخر الدولة الأموية قامت بعض الثورات في بلاد المغرب تزعمها الخوارج، وبدأت القوميات تظهر في المغرب، مما مهد الطريق لظهور الدول المستقلة مثل الأغالبة في إفريقية وبني رسول في سجلماسة، والأدارسة في المغرب الأقصى، وقد قامت هذه الدول بدورها في نشر الإسلام، وظهرت مدن جديدة ساهمت بدورها أيضاً مثل مدينة فاس ونشطت المدارس القديمة مثل القيروان، وأصبحت قبلة لطلاب العلم والعلماء.

انتشار الإسلام في السودان والحبشة والقرن الإفريقي

أولاً: في السودان:

كان معظم وادي النيل عند الفتح الإسلامي لمصر مكوناً من بلاد مسيحية، وكانت هذه البلاد المسيحية تبدأ بمصر نفسها، وتليها جنوباً مملكة النوبة، وتلي مملكة النوبة جنوباً مملكة مَقُرَّه (مَكُرَّه) وبعد ذلك إلى الجنوب كانت تقوم مملكة مسيحية ثالثة تسمى غَلْوَه، وما يلي ذلك جنوباً كانت بلاداً وثنية.

ولم تكن مسيحية هذه البلاد واضحة المعالم او عميقة الجذور، وإنما اقتصرت المسيحية في الغالب على البيوت الحاكمة، وقد أوصلها إليهم رهبان مصر في العصر البيزنطي.

* مملكة النوبة:

علاقات العرب وبلاد النوبة قديمة جداً ترجع إلى ما قبل الإسلام بكثير، فقد كان التجار من اليمن يعبرون البحر الأحمر باستمرار وتستقر جماعات منهم في مواقع شتى من حوض النيل. ثم ينساحون جنوباً ويختلطون بأهل مصر ويصلون إلى بلاد النوبة ويختلطون بهم، وقد أدَّى ذلك إلى انتشار الإسلام في النوبة وبلاد مَقُرَّه.

كانت النوبة معتبرة من الناحية الحضارية امتداداً لمصر في الجنوب، وعندما قام عبدالله بن أبي السرح بحملة على النوبة سنة 31هـ، وعقد معاهدة مع صاحب النوبة، أصبحت النوبة بالفعل امتداداً جنوبياً لمصر الإسلامية وحليفاً دائماً لمصر ومجالات لنشاط أهلها التجاري، وبالفعل لم تكن توجد بين مصر والنوبة حدود فاصلة، فكان تجار البلدين والمسافرون من الجانبين يعبرونها دون تعقيد. وقد نشأت في النوبة جالية إسلامية حول المسجد الذي أقامه عبدالله بن أبي السرح في النوبة وتعهد ملك النوبة بالعناية به في المعاهدة التي عقدها مع المسلمين، ويفهم من نص الصلح أنه شمل مملكة مَقُرَّه أيضاً، على اعتبار أنهما مملكتان مسيحيتان متجاورتان تستطيعان معاً التعهد بمراعاة الصداقة مع المسلمين.

وقد دخل النوبيين في الإسلام جماعة بعد جماعة، وأكثر ما ساعد على ذلك موقف المسلمين المرن من أهل النوبة، فهم لم يعتبروهم أعداء يواصلون حربهم فيؤدي ذلك إلى تشددهم في التمسك بالمسيحية وإنما عقدوا معهم عقداً هو أشبه بالحلف وإن كان لا يفرط في سيادة المسلمين.

وبانتشار الإسلام هناك انقطعت صلة الرق التي كانت تربط الرعاية بالملوك في النوبة واصبح أهل النوبة أحراراً بفضل الإسلام. وتحولت هذه المنطقة إلى بلاد إسلامية خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

وفي عهد الدولة الفاطمية تمكن زعيم عربي مسلم من إنشاء إمارة له امتدت لأرض النوبة يدعى بشر بن إسحاق، وفي زمنه اختلط النوبيين بالعرب وأصبحت النوبة عربية نوبية، وفي زمن الدولة الأيوبية وتحديداً أيام السلطان العادل تحولت النوبة كلها إلى أرض عربية بالفعل.

* مملكة مَقُرَّه وعاصمتها: دنقلة (دنقلا):

وهي تقع قبالة جدة من أرض الحجاز، ونتيجة لسيطرة المماليك على ميناء عيذاب- ميناء مصر الرئيسي على البحر الأحمر، ومنها يبحر الناس إلى جدة- ووصول سلطانهم إلى سواكن أصبحت مملكة مقره تحت رحمة المماليك والمسلمين.

وقد حاول داوود ملك مَقُرَّه الفكاك من ضغط المسلمين على بلاده فقام في سنة 671هـ أيام السلطان بيبرس بالإغارة على ثغر عيذاب فتحركت السلطنة المملوكية لدرء هذا الخطر، وأرسل بيبرس جيشاً قوياً سنة 674هـ، للدر على عدوان داوود وتعيين رجلاً آخر من بيته يسمى اسكندر ملكاً على مقره ووقع اسكندر مع ممثلي السلطنة المملوكية وثيقة أقر فيها أنه تابع لسلطان مصر وأن مملكته جزء من سلطنة المماليك وقبل اسكندر كذلك أن يؤدي لسلطان مصر نصف دخل بلاده من الجبايات.

ولم تكن هذه نهاية الصراع بين المماليك وبقايا المسيحية في مَقُرَّه بل توالت حلقاته ومن الواضح أن المماليك شعروا بأنه لابد من تحويل السودان كله إلى بلد إسلامي ما دام أهله قد أسلموا حتى تأمن مصر ويأمن السودان أيضاً، فلجئوا في أثناء الصراع إلى طريقة تدل على ذكاء، وهي أخذ المعارضين وخاصة الأمراء وزعماء القوى أسرى إلى القاهرة وإسكانهم في قلعة وإكرامهم والتودد إليهم وتحبيب الإسلام إليهم، فكان الكثيرون منهم يستجيبون للدعوة ويصبحون أنصاراً للإسلام ومن هؤلاء ابن اخت الملك داوود وهو أمير تربى في مصر وأسلم ويسمى عبدالله برشمبو والذي كان أول ملك مسلم تربع على عرش مَقُرَّه سنة 717هـ.

وفي سنة 823هـ، تمكن كنز الدولة بن شجاع الدين الزعيم العربي المسلم من الفوز بعرش مقره بصورة نهائية. وقد أنشأ كنز الدولة بعد استقراره في العرش أول مسجد جامع في دنقلة. وكانت المسيحية قد تلاشت إذ ذاك تماماً من مَقُرَّه في القرن التاسع الهجري، وقد ساعد على القضاء على المسيحية هناك هجرة أعداد كبيرة من عرب بني جهينة إلى مقره في القرن الثامن الهجري، واستقرارهم واختلاطهم بالناس، فأتموا إسلامهم وتعريبهم وحولوا البلاد إلى بلاد عربية إسلامية.

* مملكة علوة وعصامتها (سوبها):

لم يكن من الممكن أن تظل مملكة علوة – التي تقع جنوبي مملكة مَقُرَّه- بمعزل عن الأحداث التي ذكرناها. فقد كانت جماعات العرب تتسرب إلى أراضيها وتستقر فيها آتية من مصر والنوبة حيناً وعبر البحر الأحمر حيناً آخر.

ثم أن سلطان مصر المملوكية كان قد وصل إلى أراضيها ووضعوا أيديهم على ثغر سواكن وكانت ثغر مملكة علوة على البحر الأحمر، أضف إلى ذلك أن كنيسة علوة كانت تابعة قبل زوالها لكنيسة الإسكندرية.

ولكن الزحف الإسلامي عدد علوة من ناحية الجنوب الشرقي أيضاً، ونعني به هجمات قبائل زغاوة (زواوة) البربرية المسلمة على أراضي مملكة علوة، تبعهم هجمات قبيلة جذام.

ويلاحظ كذلك أن العلاقات المباشرة بين كنيسة الإسكندرية وكنائس علوة قد انقطعت منذ القرن السابع الهجري، فلم تعد مصر ترسل أساقفة أو قساوسة إلى علوة، فخلت الكنائس من القسس وهجرها الناس وأخذت تتداعى.

وإذا كانت مملكة علوة سائرة في طريق الاضمحلال والتفكك من القرن الثامن الهجري، فإن القضاء عليها تم في القرن العاشر الميلادي. وكان الذين أجهزوا عليها هم العرب وحلفاؤهم الفونج المسلمون.

ذلك أن سقوط مملكة علوة وتحولها إلى بلاد إسلامية فتح الباب أمام هجرة عربية ضخمة من القبائل العدائية والقحطانية.

* مملكة الفونج:

هذه أول دولة إسلامية ذات قواعد سياسية وإدارية ونظام قائم تظهر في السودان. وعلى الرغم من ألقاب ملوكها تبدو أحياناً غير عربية، إلا أن الفونج أنفسهم يقولون أنهم عرب، وكانوا يدونون وثائقهم بالعربية، وكانوا ينسبون أنفسهم إلى بني أمية الذين فروا من العباسيين. ولابد لهذا أن نعتبرهم دول عربية إسلامية كما اعتبروا هم أنفسهم.

وقد ظهروا في وقت اشتدت فيه الحاجة في وسط السودان إلى دولة قوية تقر النظام وتؤمن الناس، بعد أن تكاثرت القبائل العربية في البلاد وقامت الحروب بينها حتى أصبحت البلاد مقسمة إلى ممالك ومشيخات كثيرة لا تكف عن الحرب بين بعضها وبعض.

وكانت نتيجة هذه الفوضى أن تعطلت التجارة، بل نلاحظ أن التجارة مع مصر اضطربت تماماً في القرن التاسع الهجري، وظهرت الحاجة إلى إقامة نظام سياسي يشمل هذه المنطقة كلها يقر الأمن فيها.

وفي هذه الظروف ظهر عمارة دنقس وتحالف مع عبدالله جمّاع، وأسسها معاً دولة الفونج التي شملت معظم أراضي مملكتي مَقُرَّه وعَلْوَه السابقتين.

وقد انفرد عبدالله جمّاع بالقسم الشمالي من المملكة وجعل عاصمته مدينة قري، أما عمارة دنقس فقد بسط سلطانه على الجنوب واتخذ مدينة سنار عاصمة له.

وقد تفككت هذه المملكة بعد انقسامها إلى مشيخات قبائلية كل منها مستقلة في ناحيتها، وكانت كل هذه الجماعات القبلية السودانية التي نشأت عن تفكك دولة الفونج تعتبر نفسها قبائل عربية، وكان دينها الإسلام، وكان أفرادها يتمسكون به تمسكاً شديداً ولكن على طريقتهم. فقد كان العلماء والفقهاء من مصر قد تكفلوا بتعريف أهل السودان بالإسلام، وأتم هذه المهمة طلاب السودان الذين رحلوا لطلب العلم في مصر أو في الحجاز وعادوا فقهاء وشيوخاً أجلاء، ومن هؤلاء أولاد جابر بن عون الأربعة: إبراهيم وعبدالرحمن وإسماعيل وعبدالرحيم، وكلهم درسوا في الأزهر وعادوا إلى مواطنهم ونفع الله بهم خلقاً كثيرين، وقد هاجر أيضاً إلى بلاد الفونج نفر من علماء الأزهر أشهرهم الشيخ محمد القناوي، والذي تخرج على يديه الكثيرون من أوائل علماء السودانيين.

وفي التاريخ الحديث ضمت السودان إلى مصر ابتداء من 1235هـ، وكانت وحدة مصر والسودان أيام محمد علي باشا وما بعدها إلى أواخر أيام الخديوي إسماعيل من أكبر العوامل في إتمام إسلام السودان، خاصة بعد أن انشئ في مصر مديرية خط الاستواء والتي وضعت سياسة ثابتة لنشر الإسلام في مناطق منابع النيل، ولولا أن إسماعيل الخديوي عهد في إدارة السودان للمستعمرين الإنجليز لأصبح السودان كله من شماله لجنوبه إسلاماً خالصاً.

ثانياً: الإسلام في بقية شرق إفريقية (الحبشة):

يبدو للناظر من بعيد أن انتشار الإسلام في شرق إفريقية أمر لا يحتاج إلى طويل بحث نظراً لموقعه الجغرافي على الضفة الغربية للبحر الأحمر في مواجهة الحجاز، وهو مهد الإسلام، واليمن وهو أيضاً مركز رئيسي من مراكز الدعوة إلى الإسلام ثم نظراً للعلاقات الوثيقة التي ربطت شرق إفريقية بالجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده.

ولكن شرقي إفريقية وخاصة فيما يتعلق بما يقع منه إلى الجنوب من السودان معقد التركيب الجغرافي والبشري، وأبسط ما يدل على ذلك أن مصر والسودان الشمالي والأوسط قد تم تعريبهما من قرون بعيدة بينما لم تتعرب ألسنة شرق إفريقية بعد. وهنا يبدو غريباً، لأن شرقي إفريقية المواجهة لجزيرة العرب- بما في ذلك الحبشة- تلقى من شبه جزيرة العرب لغاته وحضارته الأولى من قبل الإسلام بزمن طويل. وكان الذين أقاموا مملكة أقشوم أو اكسوم القديمة مهاجرين من اليمن.

أما المسيحية فقد وصلت إلى الحبشة وافدة من مصر وقد حملها إلى هناك راهبان مصريان، كان من نتائجها أن مملكة أقشوم أصبحت بلاداً مسيحية.

وإذا كان الإسلام قد استطاع أن يغزو ممالك السودان المسيحية فلأن أراضيها سهول استطاع العرب اكتساحها شيئاً فشيئاً. أما الحبشة فقد بقيت المسيحية فيهالأن المسلمين عجزوا عن قهر الأحباش المتعلقين بقمم الجبال والهضاب، كما يرى الباحثين الغربيين.

والحق كذلك أن المرتفعات مهما كانت لم تقف حائلاً بين العرب وبين أي إقليم إذا شاءوا ذلك، وجبال الحبشة ليست أمنع من جبال أفغانستان التي اقتحمها العرب وأدخلوا أهلها رحاب الإسلام، ولا كان الأحباش بأشجع من البربر، ولكن السبب الحقيقي أن العرب بعد سيطرتهم على السواحل الشرقية لم يهتموا بالتواغل لفي الداخل، كما أن اتجاهات الفتوح تتوقف كثيراً على وجود رجال أفذاذ من القادة نجحوا في تنبيه مركز الخلافة الإسلامية إلى أهمية فتوح البلاد التي تلي ولاياتهم، ولولا قتيبة بن مسلم لما بذلك المسلمون كل ذلك الجهد لفتح بلاد الترك، ولولا محمد ابن القاسم لما وثب المسلمون إلى حوض السند هذه الوثبة الباسلة، ولولا عقبة بن نافع ما اهتمت الدولة الإسلامية بأمر المغرب الاهتمام الذي جعل بلاد المغرب كلها بلاد إسلام. كذلك الأمر مع طارق بن زياد وموسى بن نصير بالنسبة للأندلس.

وعلى الرغم من ذلك فقد تكفلت القبائل العربية المهاجرة عبر البحر الأحمر أو الزاحفة من مصر بالوصول إلى الحبشة وذلك بالاستيلاء على طريق هرَرَ التجاري المؤدي إلى أعالي الحبشة، وكالعادة سار الإسلام مع التجار وطرق التجار ونشأت على طول هذا الطريق المؤدي إلى الحبشة إمارات أو مشيخات صغيرة إسلامية مثل: رافات، وأدلَ، ومُورة، وهبُط، وجداية، وانتشر الإسلام بين قبائل سدامة الحبشية وما حولها من قبائل البدو.

وكان الصراع دائماً وعنيفاً بين هذه الممالك وملوك الحبشة. وفي سنة 933هـ، على وجه الدقة ظهر بين المسلمين زعم قوي هو الإمام أحمد جرافي الذي تمكن من فتح الحبشة وأزال ملك النجاشي، لكن هذا الرجل لم يعش طويلاً إذ قتل في المعارك سنة 948هـ، وتفرق رجاله.

في أثناء ذلك هاجرت قبائل الجالو الوثنية إلى داخل الحبشة في موجات متعاقبة ابتداء من سنة 944هـ، فأزالت المسلمين من أراضي الحبشة، ولم يبق الإسلام إلا في هرر وما تبعها من الأراضي. وتوسعت قبائل الجالو واحتلت هضاب الحبشة. وقد أسلم بعضهم وتنصر البعض الآخر. وخلال القرنين الـ12 والـ13هـ كانت الحبشة تعاني من مصاعب داخلية أتاحت للجاليين المسلمين أن يضعوا يدهم على الكثير من أراضي الحبشة.

وخلال القرن الـ13هـ، أيضاً تحولت معظم قبائل اريتريا إلى الإسلام وكانت قبائل ذلك مسيحية. وفي النصف الثاني من هذا القرن أيضاً عادت الحبشة فتماسكت واستعادت وحدتها فنهضت من جديد واستطاعت إيقاف تقدم الإسلام في أراضيها وقام على رأسها أباطرة أقوياء مثل تيودور المعروف بعنفه في عدائه للإسلام، ويوحنا ثم منليك الذي استعان على المسلمين بمعونات أوروبية، وقد تمكن هؤلاء الثلاثة من توسيع رقعة الحبشة حتى ضمت داخل حدودها أعداداً كبيرة من المسلمين والوثنيين.

وإنه لمن الغريب أن المسلمين سهوا عن فتح الحبشة خلال العصور الإسلامية الأولى من أن الحبشة كانت متجراً للعرب في الجاهلية، وكان رسول الله قد اختارها لتكون مهجراً أميناً لأصحابه بعدما زاد تعذيب كفار قريش لهم، فكان من الطبيعي نتيجة لذلك كله أن يستكمل العرب فتح اليمن بفتح الحبشة، لأن الحبشة واليمن كانت دولة واحدة خلال حقب طويلة قبل الإسلام، ولو أن المسلمين قصدوا الحبشة في عصر الفتوح الأولى لما وجدوا أي صعوبة في فتحها، فقد كانت مسيحية أهلها سطحية جداً، وكانوا من القلة بحيث لم يشعر مركز الخلافة الإسلامية بضرورة توجيه جيش خاص لفتح هذه البلاد.

ومرت السنون وتوقفت موجة الفتوح الأولى فسكت المسلمون عن الحبشة فظلت المسيحية على حالها فيها على الرغم من انقطاع الحبشة عن بقية العالم المسيحي، وقد غابت الحبشة عن أنظار العالم كله قروناً متطاولة، حتى المسيحية الأوروبية نسيتها.

وقد تذكرت أوروبا بلاد الحبشة المسيحية أثناء حركة الاستعمار، فحاول البرتغاليون الوصول إلى الحبشة، وبالفعل وصل إليها بعضهم وعاد إلى أوروبا ببعض أخبارها. وتنبهت البابوية في القرن الـ12هـ، إلى أهمية الحبشة كنقطة ارتكاز للدعوة المسيحية في إفريقية.

ثالثاً: انتشار الإسلام في جنوب القرن الأفريقي:

كان شرق إفريقية دائماً من المناطق الغنية بمنتجاتها التي تلقى في بلاد الغرب قبولاً واسعهاً، ولهذا كثرت هجرة العرب إليه واستقرارهم على سواحله من قديم الزمان لممارسة التجارة ونقلها إلى الشام وبلاد الروم، وكان مضيق باب المندب معبراً مألوفاً إلى إفريقية قروناً كثيرة قبل الإسلام وعندما ظهر الإسلام ودخلت فيه بلاد اليمن بدأ اليمانيون يحملون الإسلام إلى إفريقية في كل سواحل شرق إفريقية، وكذلك فعل الحضارمة والعمانيون بعدهم، وكلهم أخذوا الإسلام معهم إلى الساحل الأفريقي شمال القرن وجنوبه. وبعد قليل من الزمن أصبح الإسلام الدين السائد على السواحل ومضى يشق طريقه إلى دواخل القارة.

وقد قسم العرب الساحل الأفريقي الذي ألفوا الوفود عليه إلى أربع مناطق:

1. ساحل البربرة عند قرن إفريقية وإلى غربه وجنوبه، وأهله كوشيون.
2. ساحل الزنج، وكانوا وثنيين في جملتهم وقد أنشأوا مدناً تجارية ساحلية، وكانوا يخضعون لملك لهم في ممبسة.
3. ساحل سُفالة وهي أرض الذهب ولهم ملك قاعدته صيونه.
4. أرض الوقواق وهي ما يلي ذلك من الساحل جنوباً، وهي أرض مجهولة لا نعرف عنها إلا القليل.

ويذكر علي المغربي في كتابه "بسط الأرض في طولها والعرض" سنة 651هـ، أن مدن الساحل الأفريقي الشرقي قد أصبحت مدناً إسلامية. وبين 544 و 905هـ نشأ عندهم طراز ثقافي يسمى بالشيرازي.

والشيرازية منسوبون إلى علي بن سلطان أحد سلاطين شيراز، الذي ذهب إلى إفريقية مع اولاده وبضع مئات من المهاجرين، واشترى جزيرة صغيرة سميت كلوة واستقل هو وأصحابه بالتجارة وتبعهم في ذلك أولادهم ومن دخل الإسلام معهم ونشأت منهم جماعة الشيرازية.

وقد أنشأ الشيرازية مراكز تجارية كثيرة على الشواطئ الأفريقية، وفي القرن السادس الهجري كانوا قد سيطروا على التجارة على الساحل الإفريقي من مالندي إلى موزامبيق، وفي القرن السابع الهجري ضرب سلطان كلوة عمله نحاسية هي أول عملة تضرب في إفريقية. وقد نشر الشيرازية الإسلام داخل البلاد، واتسع نطاق تجارة الشيرازية حتى الهند بل إلى الصين، فكانت لها وكالة تجارية مع بكين.

وقد اختفت هذه الثقافة خلال فترة سيادة البرتغاليين على تلك السواحل، وبعد ذلك أخذ يسود طراز جديد من الثقافة العربية الإفريقية يسمى بالسواحلي وهو يحمل طابعاً حضرموتياً ظاهراً.

وقد اضرَّ البرتغاليون بتطور هذه الثقافة الإسلامية ضرراً بليغاً مع أنهم لم يحتلوا إلا نقطاً قليلة على الساحل الأفريقي، كما كان أذاهم بليغاً من القرن الـ10 وحتى الـ12هـ، حين تمكن العمانيون من طرد بقاياهم وتخريب قواعدهم. وكان لسلاطين عمان علاقات نشيطة مع ساحل إفريقية ومواقع العمانيين على الساحل الأفريقي وخاصة زنجبار. وكان أهل هذه المواقع خوارج اباضيين ولكنهم لم يقوموا بأي جهد لنشر مذهبهم في إفريقية.

وفي خلال هذه الفترة أيضاً شهد الساحل الأفريقي موجات متصلة من مهاجري اليمن وكان في جملة المهاجرين نفر من الفقهاء، فأدخلوا المذهب الشافعي بين أهل السواحل، وعني هؤلاء الفقهاء بكتابة السواحلية بحروف عربية، وكانت قبل ذلك لغة غير مكتوبة.

وكان سلطان العمانيين قليلاً على مراكزهم التجارية على الساحل الأفريقي حتى تولى السلطان سعيد بن سلطان سنة 1272هـ، وقد تمكن هذا السلطان القوي من تثبيت نفوذه في مسقط ثم اتجه باهتمامه إلى الساحل الأفريقي، وأنشأ في جزيرة زنجبار قاعدة لسلطانه هناك. وعصر هذا السلطان يعني تاريخاً حاسماً في تاريخ الساحل الشرقي الأفريقي. فإن نشاط المسلمين التجاري بدأ يتوغل خلاله في داخل القارة، ومع أن المسلمين وصلوا في أيامه إلى داخل القارة عند تنجانيقا والكونغو ونياسا، وأنشأوا محطات تجارية في عمق القارة إلا أن اهتمامهم بالتجارة كان أشد من اهتمامهم بالدعوة. فلم يدخل على أيديهم في الإسلام إلا نفر قليل من ربطتهم بالعرب روابط تجارية مباشرة في ذلك الحين. والحقيقة أنه لم يتسع أمامهم الوقت للقيام بعمل حاسم من أعمال الدعوة، لان الاستعمار كان يتوغل إذ ذلك في داخل القارة، وقد وقف حائلاً دون انتشار الإسلام. ومع ذلك فيمكن القول أنهم فتحوا الأبواب للإسلام، فلم يلبث الدعاة أن يتوغلوا في القارة ولم يلبث الإسلام أن أخذ ينتشر في إفريقية الاستوائية.

أما انتشار الإسلام على نطاق واسع في تنجانيقا فيرجع إلى سنة 1297هـ، بعد احتلال الألمان لتلك المنطقة، ويذهب أهل الاستعمار من الألمان أنهم ساعدوا على انتشار الإسلام في إفريقية لأنهم سهلوا طرق المواصلات وأقروا الأمن في البلاد ولم يقوموا بأي عمل يوقف سير الإسلام، ويقال أنهم تركوا الإسلام ينتشر لأنهم وجدوا في الشريعة الإسلامية نوعاً من النظام القانوني المفيد في إقرار السلام، والحقيقة أن أمم الغرب المستعمرة كانت مهتمة في الدرجة الأولى بالاستيلاء على الموارد واستغلال الثروات، وفي أحيان كثيرة ظنوا أن انشغال الأهالي بالدين يصرفهم عن التنبيه إلى النهب الذي كان يصيب ثرواتهم بلادهم القومية.

وختاماً لا ننسى ما تركه السواحيليون من أثر عميق في جماعات السود في قلب إفريقية ونشروا الإسلام بين قبائل كثيرة تسكن اليوم تنزانيا وكينيا.

انتشار الإسلام في إفريقية المدارية

مملكة غانة:

هاجرت بقايا السوننكة البربرية إلى بلاد غانة، ولم يكن السوننكة كلهم على الإسلام وإنما كان منهم الكثيرون من الوثنيين. والسوكننة المسلمون هم من نشروا الإسلام بين الغانيين.

وكان سادة غانة الجدد منا لسوننكة أقوى من سكانها القدامى، فبالتالي تمكن رجال هذه الدولة من الاستيلاء على "أودغشت"، التي كانت مركز التجارة الرئيسي لكل القوافل الصادرة من غانة وغيرها من بلاد إفريقية المدارية إلى بلاد المغرب عبر الصحراء، وصولاً إلى واحات سجلماسة.

ويعتبر استيلاء حكام غانة من السوننكة على أودغشت حادثاً فاصلاً في تاريخ انتشار الإسلام في إفريقية المدارية لأنه مكَّن الغانيين من السيطرة على طريق التجارة، وطريق التجارة هنا هو طريق إسلام.

وقد أصبحت هذه المملكة صاحبة السيادة والنفوذ في جميع المساحات الواقعة بين النيجر والمحيط الأطلسي، وصارت أعظم قوة سياسية في السودان الغربي، وكان فيها مدينة كاملة للمسلمين، منفصلة عن عاصمة البلاد المسماة "مدينة الملك".

وكان في القسم الإسلامي أحد عشر مسجداً أما في "مدينة الملك" فكان يوجد مسجد واحد لمن يفد من المسلمين، ولكن رغم ذلك كانت الوثنية لا تزال غالبة على المملكة وأهلها.

قلنا أن مدينة أودغشت كانت مركزاً تجارياً ضخماً في إفريقية المدارية، وكانت تقع في شمالي حوض السنغال، وهي أول ما يلقاه من يعبر الصحراء الكبرى قادماً من الشمال. وكانت قبائل صنهاجة الصحراوية تمتد حتى تصل إلى أودغشت وحوض السنغال، فلم يجد الصنهاجيون صعوبة في دخول أودغشت، ونشر الإسلام فيها وشيئاً فشيئاً أسلم معظم أهل أودغشت، وأصبح القرآن يعلم فيها للصغار في الكتاتيب، وصارت مركزاً للإسلام في إفريقية المدارية، وكان ذلك قبل مجيء المرابطين.

دخول المرابطين أودغشت:

وعلى الرغم من أن صاحب أودغشت ومعظم كبراء دولته كانوا من المسلمين إلا أن الإسلام يم يعم أهلها، وكان معظمهم يدينون بالولاء لمملكة غانة، بل كان صاحب أودغشت يخشى دولة غانةوسلطانه، وعندما ضعفت مملكته بعد وفاته أدى خلفاؤه الجزية لغانة ودخلت في طاعة ملكها السوننكي.

وكانت مملكة غانة خطراً شديداً يهدد بربر صنهاجة من الجنوب، وكانت هذه القبائل الصنهاجية مهددة من الشمال في نفس الوقت بقبائل زناتة.

وهذا الشعور بالخطر على المصير والضياع بين الزناتيين من الشمال وسلطان غانة من الجنوب كان الدافع الحقيقي الذي جعل يحيى بن إبراهيم شيخ قبيلة جدالة الصنهاجية للبحث عن وسيلة يستطيع بها أن يجمع كلمة قومه ويوحدهم. ولأنه كان يؤمن بأن عصب الدين هو الرباط الوحيد الذي يمكن أن يجمع الصنهاجيين بعضهم إلى بعض ويخرجهم من فوضى المنازعات، تحالف مع الشيخ عبدالله ياسين. فكان عبدالله هو الإمام والمعلم والموجه الديني، ويحيى ابن عمر كان هوا لرئيسي السياسي.

المهم أن عبدالله بن ياسين وفق توفيقاً عظيماً في مهمته، فتمكن من جمع الصفوف، وتكوين قوات من المجاهدين في سبيل الدين سماهم "المرابطين"، واستطاع هذا الرجل أن يحول هذه الكتلة الصنهاجية إلى قوة عسكرية مجاهدة ضخمة تحارب في جبهتين. جبهة زناتة في الشمال وجبهة غانة في الجنوب، وفي كلتا الجبهتين كان توفيقه عظيماً، فاستولى الصنهاجيون على أودغشت من الغانيين، واستوى على سجلماسة من أيدي الزناتتيين، وبهذا ملك المرابطون طريق التجارة وتجردوا لما هو أهم من ذلك وأبعد مدى، وهو الجهاد.

وعندما استقر المرابطون في المغرب الأقصى، شرعوا في إنشاء مدينة مراكز سنة 462هـ، التي أصبحت فيما بعد من أعظم عواصم الإسلام وأجملها.

ولكن إنشاء مراكش يعني لنا انقسام دولة المرابطين إلى دولتين:

1. شمالية: وجهتها شمال المغرب الأقصى.

2. وجنوبية: وجهتها بلاد السودان.

وكل اهتمام المؤرخين المسلمين بعد ذلك اتجه نحو الفرع المرابطي الشمالي الذي أتيح له أن يوحد المغرب الأقصى وإقليم تلمسان بل أدخل مدينة الجزائر في سلطانه ثم عبر بعد ذلك إلى الأندلس وقام بإنقاذ جبهة الإسلام المتداعية في ذلك الحين على يد يوسف بن تاشفين، مما مَدَّ في عمر الإسلام في الأندلس أربعة قرون، في حين لم يذكر لنا أحد شيئاً وافياً عن أعمال المرابطين الجليلة في إفريقية المدارية.

قيام دولة غانة الإسلامية:

استوى المرابطون على أودغشت سنة 447هـ، ثم اتجهوا بقيادة أبو بكر ابن عمر "أخ يحيى ابن عمر" إلى غانة واقتحموها سنة 468هـ، وقضوا على الوثنية فيها، وعملوا على تحويلها كلها إلى بلاد إسلامية خالصة وأقاموا عليها حاكماً مسلماً من الغانيين أنفسهم ممن دخل آباؤهم الإسلام منذ زمن طويل. ومن ذلك الحين أصبحت بلاد غانة كلها بلاداً إسلامية، وهكذا يكون أبو بكر عمر قد حول معظم بلاد إفريقية الغربية المدارية إلى الإسلام وجعلها جزءاً أصيلاً من دولته. وعندما توفي مجاهداً سنة 479هـ، كان قد وقف بالإسلام على أبواب إفريقية الاستوائية عند منطقة الغابات الكثيفة وهذه الغابات تعتبر حاجزاً هائلاً يفصل شعوب إفريقية المدارية من دخول إفريقية الاستوائية.

وكانت نهاية دولة غانة الإسلامية على يد فريق من قبائل الصوصو الذين كانوا يسكنون جنوبي مملكة غانة.

دولة مالي الإسلامية:

خلفت دولة غانة في رياسة المغرب الإفريقي المداري دولة مالي، وقد أنشأتها قبيلة عظيمة تسمى: الماندنجو أو ونقارة أو ونجارة أو مالنكة أو مالي.

سيطر الماندنجو وهم أصحاب دولة مالي على البلاد الممتدة من نهر النيجر إلى المحيط الأطلسي، وأقاموا قبل وصول الإسلام إلى هذه النواحي أسراً حاكمة، منها: أسرة كيتا، والتي لا نعرف شيئاً محققاً عن أصلها وإن كانت المأثورات الشعبية في مالي تقول أنمنشأها كان رجلاً مسلماً يسمى موسى ديجيو تولى عرش مالي فيما بين سنتي 597 و 615هـ، واتخذ موسى من كياتا عاصمة له.

خلفه ابنه الأكبر ويسمى ناري، وقد بذل أثناء حكمه جهوداً كبيرة لنشر الإسلام بين رعيته. وعندما توفي سنة 627هـ، خلفه ابنه سمبا وفي أيامه قام ملك الصوصو بهجوم عنيف على دولة مالي، وقتل ملكهم وعشرة من إخوانه، ولم ينج من هذا المصير إلا ابنه الأصغر سنديانا.

تشرد سنديانا في الإقليم الجنوبي لدولة مالي وفي صحبته نفر من أصحابه، وتمكن من أن يجمع جيشاً قوياً من الماندنجي ويقودهم في صراع عنيف مع ملك الصوصو الوثني وتمكن من الانتصار عليه سنة 632هـ، وطرد ملك الصوصو وأعاد الاستقلال إلى بلاده وتربع على عرشها، وغلب عليه اللقب الذي أطلقه أصحابه عليه وهو "ماري جاطه"، ومعناه: الأمير الأسد.

ويعتبر ماري جاطه، أعظم سلاطين مالي على الإطلاق، لأنه:

1. وسع حدود مالي: حيث قدرت مساحة مملكة مالي الإسلامية أيام ماري جاطه بمساحة أوروبا كلها.
2. قسم دولته إلى اثنى عشر قسماً إدارياً ولىَ علىكل منها رجلاً من كبار قواده.
3. كان عظيم الاهتمام بإدخال كل رعاياه في الإسلام.
4. في أيامه ازداد رخاء مالي وتكاثر سكانها وعمهم كلهم الإسلام.
5. في أيامه ثبتت عاصمة مالي في نياني، وقد اهتم بها وعمرها حتى أصبحت من أكبر المدن الإفريقية، ومن اسم نياني اشتق اسم مالي الذي أطلق على المملكة كلها وحل محل اسم مملكة الماندنجي.

وقد عرفت دولة مالي أيام ماري جاطه باسم مالي الجنوبية، أما مالي الشمالية فهي مالي التي غزاها الصوصو وخربوها وحكموها حتىطردهم منها ماري جاطه كما ذكرنا.

وخلف ماري جاطه ابنه منَسْنا علي فسار على طريقة أبيه في سياسة الدولة والاهمام بنشر الإسلام فيها. وتتحدث كتب التاريخ عن حجته المشهورة سنة 724هـ، والتي لقي فيها السلطان محمد بن قلاوون بالقاهرة، وفي الحجاز أفاض الهدايا والصدقات على الناس.

وخلفه أخوه مَنْسا سليمان، وكان على شاكلته في الحماس للإسلام.

1. أكثر من بناء المساجد واستقدام العلماء والإغداق عليهم فكثرت حلقات العلم في المساجد.
2. أنشئت الكتاتيب في القرى والمحلات لتعليم اللغة العربية.

وفي أيامه زار ابن بطوطة سلطنة مالي. وصورها دولة إسلامية مزدهرة، وبعد منسا سليمان أخذ أمر مالي في التدهور بسبب سوء الحكم وفساد التدبير وهجمات أعدائها عليها وأهمهم هنا رجال دولة صُنْغَى ثم الفولانيون والتكاررة وأخيراً البرتغاليون.

الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا:

1. عثمان دان فوديو في بلاد الهوسا (نيجيريا):

تقع ولايات الهوسا في وسط القارة الإفريقية، وهذها لبلاد عبارة عن سهول خصبة تتخللها وديان وأنهار، وكان أهلها يعملون بالزراعة وتربية الماشية والتجارة عبر الصحراء الكبرى.

وشعب الهوسا ليس قبيلة بالمعنى المفهوم أو جنساً قائماً بذاته. ولكن الهوسا اصطلاح لغوي يطلق على جميع الشعوب التي تتكلم بهذه اللغة. وتكونت في بلاد الهوسا أربع عشر إمارة، وكانت دورا أقدمها، وجوبير أقواها.

ولد الشيخ عثمان بحوض السنغال سنة 1168هـ. في بيت علم وفتوى، لذلك نشأ نشأة دينية خالصة. رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج، وهناك اختلط بدعاة الحركة السلفية، واستمع إليهم، وتشرب مبادئها، وأيقظت في نفسه الرغبة الملحة في أن يحارب البدع في بلاده، وأن يعلن الحرب على أولي الأمر الفاسدين كما فعلت الحركة السلفية في شبه الجزيرة العربية.

وتزعم الشيخ عشيرته التي تسمى كورنك، وهي من أشد فروع الفولانيين تحمساً للإسلام، وتوجه بهم إلى جوبير الوثنية، وبها بدأ يعد جيلاً من الدعاة، فجعل منهم جماعة قوية، وانضم إليه عدداً لا يحصى من الأتباع الذين يدفعهم الحماس الديني، وأسلم على يديه عدد كبير من أهل هذه الناحية، وانتشرت حلقات الدرس على يد أتباعه في معظم بلاد الهوسا.

حاول ملك جوبير أن يعوق ازدياد قوة الشيخ عثمان في بلاده، وهنا بدأت الاحتكاكات بين الطرفين. وأعلن الشيخ عثمان الجهاد، وتلقب بلقب "أمير المؤمنين". وينبغي أن يكون معلوماً أن هذا الجاهد لم يكن موجهاً نحو الوثنيين وحدهم، وإنما موجهاً نحو المسلمين العابثين بدينهم.

نجح الشيخ عثمان في السيطرة على العديد من ولايات الهوسا الواحدة تلو الأخرى، وخلع حكامها، وتعين عمالاً من أتباعه يخضعون لسلطانه. ولذلك ما جاءت سنة 1225هـ، حتى خضعت إمارات الهوسا كلها لسلطانه.

وقد أثبتت مواقف الشيخ عثمان أنه كان مجاهداً من طراز فريد، كان هدفه الأساسي إن لم يكن الوحيد هو نشر الإسلام وليس الحكم أو الزعامة كما هي عادة أغلب الزعماء.

من هذه المواقف: أنه عندما ادرك أن واجبه في الجهاد قد انتهى، اعتزل العمل السياسي، وقسم دولته سنة 1227هـ بين أخيه عبدالله الذي انفرد بالولايات الغربية من المملكة، وابنه محمد بللو الذي أخذ الولايات الشرقية.

وتفرغ الشيخ عثمان للدعوة للإسلام، ويفقه الناس في الدين، قانعاً بالزعامة الروحية، متخذاً من سكوتو مركزاً للدعوة، واخذ يؤلف الكتب لإحياء السنة والقضاء على البدع والخرافات، وفضلاً عن مؤلفاته في الدراسات الدينية فإنه كان لغوياً أديباً، وله مؤلفات في الأدب العربي، فأعلى بذلك من شأن الثقافة العربية في غرب إفريقيا، ومؤلفاته تزيد على مائة مؤلف، وعملت أسرته على منواله في التأليف والاهتمام بالعلم. وعلى رأسهم أخيه عبدالله، وابنه محمد بللو، وابنته نانا أسماء.

لقد تأصلت جذور الدعوة الإسلامية في بلاد الهوسا، ونجدهم حتى الآن يتمتعون بحضارة إسلامية خالصة، ونظام إسلامي للحكم، وما زالت حتى اليوم بعض أقاليم نيجيريا مثل كانو تطبق الشريعة الإسلامية في كافة ميادين الحياة.

حركة الحاج عمر (الفوتا فورو والماسينا= السنغال وغينيا وساحل العاج):

ولد الحاج عمر سنة 1212هـ، في بلدة بودور في إقليم الفوتا فورو (السنغال) واسمه عمر سيدو تال، وكان أبوه من المرابطين المتفقهين في الدين، فرباه تربية دينية، فنشأ مسلماً ورعاً ذا اتجاه ديني قوي، ورحل في طل العلم في بلاد الفوتا، ثم اتجه إلى الشرق فنزل مصر سنة 1236هـ وتلقى العلم بالأزهر، ثم غادر مصر إلى البلاد المقدسة بالحجاز، وكانت الحجاز في ذلك الوقت مركز الحركات السلفية، وليس ببعيد أن الحاج عمر قد لقي دعاة الحركة السلفية، وخالطهم وتشرب مبادئها، كما اتصل بشيوخ الطريقة التيجانية، وأعجبه مبادئهم، فعينوه خليفة لهذه الطريقة في السودان الغربي.

وبعد عودته إلى بلاده أسس رباطاً للعبادة أصبح فيما بعد مركزاً للثقافة الإسلامية والنشاط التجاري، ولما شعر الحاج عمر بنمو قوته، انحدر من رباطه بعد أن زاد أنصاره عدداً وعدة، وأعلن الجهاد على الإمارات الوثنية في بلاد السودان الغربي. واتسعت دولته لتشمل بلاد الماسينا والفوتافورو.

وكان هم الحاج عمر كله منصرفاً إلى نشر الإسلام، إلا أن بعض أتباعه لم يكونوا على نفس القدر من حماسه ودينه، بل كانوا يطمعون في الغنائم، مما أثار عليهم بعض الشعوب التي خضعت لهم، فمات مختنقاً في إحدى مغاراته بسبب الغازات المنبعثة من البارود الذي كان يطلق عليه.

ومما يشهد للحاج عمر أنه كان مسلماً ورعاً صادقاً، ويؤثر عنه أنه كان لا يدع صلاة تفوته حتى أثناء المعارك. وخلفه ابنه أحمدو في الحكم، لكنه لم يكن يتمتع بمثل صفات أبيه من الورع والتقوى والزعامة، فخرجت البمبارة عن حكمه، وتنازل أخوته مع على الحكم، وقامت صراعات وحروب كثيرة بين المتنافسين على الحكم أساءت إلى السكان، ونشرت الخراب في بلاد كثيرة، وأصبح أحمدو مكروهاً من الرعية، مما اضطره لمغادرة عاصمته سيجو، واعتزل الدنيا حتى توفي.

وورث الاستعمال الدو الإسلامية في السودان الغربي وبدأ يمد لسلطانه ويثبته بالحديد والنار، بل وعمل على تشويه سمعة الدول الإسلامية وسمعة رجالها، حتى حسب الناس أن بلاد إفريقيا عندما دخلاه الأوروبيون كانت قبائل همجية من أكلة لحوم البشر، وأن الاستعمار الأوروبي هو الذي أخرج هذه البلاد من تلك الظلمات إلى النور، وصدق الناس هذه الأكاذيب، وارتسمت في أذهانهم صورة مزرية للإفريقي قبل الاستعمار.

وها نحن نرى من خلال دراستنا هذه كذب هذا كله، فما كان أهل هذه البلاد من إفريقية بهمج أو متوحشين، بل كانوا شعوباً ذات حضارات ودول ونظم، وكانوا مسلمين منهم العلماء والفقهاء، وبلادهم تزدان بالمساجد، ودخلوا الإسلام عن طواعية واقتناع، وتحمسوا له وعملوا على نشره، وأنفقوا الأموال في استقدام أهل العلم والفقهاء إلى بلادهم، واستشهد منهم الآلاف في ميادين الجهاد في سبيل الله، حتى أصبح غالية أهل السودان الغربي حتى شمال ما يعرف اليوم بالكونغو بلاداً إسلامية، وعمل الاستعمار في أولى خطواته الاستعمارية على وقف تقدم الإسلام، وتحطيم كل ما يجد في طريقه من معالم العمران الإسلامي، وفي الوقت الذي يأتي فيه بآلاف القساوسة المبشرين لتحويل أهل البلاد إلى المسيحية.